ساقلن
SATAN

ساتان
رواية
إسلام إدريس
الطبعة الأولى : ٢٠١٥

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

تصميم الغلاف : أسامة علام
إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢٦٣٨٦
رقم الترقيم الدولي : 978-977-6412-90-3

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

إسلام إدريس

الجزء الأول

أمير الظلام

تمهيد

ترنيمة الظلام

انهض أيها الراقد على سرير الموت الأسود..
تعالَ إلى هنا يا من اتشحت روحه بعباءة الظلام السرمدية..
جُبت العصور.. شهدت ميلاد التاريخ وموته..
لقد تشبعت من نسيم الظلام العابق بروائح الموت والخراب..
لقد بحثت كالمحموم طويلاً.. بحثت عمن يقبل أن يكون تابعًا لك..
تقوده في معركتك الأخيرة ضد العالم.. ضد البشر.. ضد الحيوانات.. ضد النباتات..
أنت..
وحدك تملك قوة لا محدودة..
الشر مركزه قلبك الأسود..
الكراهية أصبحت ذرات تسبح في فضاء روحك المغلقة للأبد..
الدم.. الدم.. الدم..
يا سيد الظلام..
يا رسول الشؤم ونذير الهلاك..
أجل..
إنه أنت.. فقط.. ولا أحد غيرك..
أنت يا من تم اختيارك من بين سفراء الجحيم السبعة لتكون القائد..
أنت من وقع عليك اختيار بلعزبول الكبير..

لتكون دومًا وأبدًا..
أمير الظلام..
إنه أنت..
يا.. لوسيفر!

الورقة الأولى

عن عالم الظلام.. ومعبد النور المقدس

-١-

المكان: أرض الظلام.

الزمان: غير معلوم.

***

الظلام الأبدي..

إنه الظلام البكر الذي يشعرك عندما يحيط بك بأنه ذو كيان منفصل, ذو قوة روحانية عجيبة, وأنفاس تشبه الفحيح.

إنه الظلام الذي يشعرك بأن كائنًا حيًّا يتحرك من حولك.. يحوم في المحيط وكأنه صياد يستعد للانقضاض على فريسته.. إنه الظلام الأول.. الذي لا يبدده ضوء عادي على الإطلاق.

في قلب هذا المستنقع الرهيب من الظلام الحي وقف لوسيفر بثبات عجيب وفي يده مشعل في قمته استقرت شعلة ذات ضوء أسود محاط بهالات باهتة من الرمادي, وعلى هذا الضوء الضعيف بدت ملامحه المخيفة والمثيرة للانتباه في وقت واحد.

كان وجهه شاحبًا وكأنه مات للتو, وجنتاه غائرتان على نحو مخيف, أنفه ذو النهاية المدببة, شفتاه الرفيعتان وكأنهما خيط رفيع, عيناه رماديتان واسعتان, وفي عمقهما بدت شعلة من نيران الحقد والكراهية تتأجج على الدوام, لحيته المحددة بعناية والمتصلة بشارب رفيع تحت أنفه, وأخيرًا تلك الثياب السوداء التي يرتديها وقد أحاطت بجسده جيدًا لتظهر عضلات مفتولة, وحول عنقه تدلت قلادة ذهبية في منتصفها ماسة ذات لون أحمر دامٍ, راح قلبها يتألق على الدوام.

- لقد مر وقت طويل إلى أن جئت إلى هنا يا لوسيفر.

تردد الصوت الرهيب من حوله دون أن يظهر شخص المتحدث, وإن أحس لوسيفر بوجوده القوي في كل شبر من ذلك الظلام الحي, وعلى الرغم من أن كل ذرة من كيانه كانت ترتجف فرقًا, فإن لوسيفر ظل على ثباته, وبصوت

عميق ثابت الجنان قال وهو يحني رأسه قليلاً:
- لقد كنت منهمكًا في البحث يا مولاي بلعزبول الكبير.. أنت تعرف هذا جيدًا.
مرت لحظات من الصمت قبل أن يأتيه الصوت مرة أخرى، وإن بدا من نبرته أن صاحبه يبتسم:
- أنا أعرف هذا جيدًا أيها العزيز لوسيفر.. لقد كان أتباعي في كل مكان يجوبون الأرض وراءك.. يقتفون أثرك, ويتتبعون خطواتك على الدوام. ومنهم تأكدت أنك لم تصل بعد إلى مكان العثور على المفتاح الأسود, ولا عن المكان الذي يختفي فيه ألد أعدائي.. شاهين الأبيض.
شعر لوسيفر بموجة من مشاعر الغضب تجتاحه بقوة منحية جميع المشاعر الأخرى, وأنسته أنه واقف في حضرة سيده ومولاه بلعزبول الكبير, فقال ويده تقبض بقوة على المشعل لتهتز شعلته السوداء:
- لم يكن الأمر سهلاً أو بسيطًا يا مولاي. ومن المؤكد أن جواسيسك الذين أرسلتهم ورائي أخبروك بأن شاهين الأبيض كان قادرًا على تتبع خطواتي كذلك, ولهذا كان وأتباعه لي بالمرصاد في كل خطوة أخطوها. حتى إنه نجح في اختطاف الشخص الوحيد الذي عثرت عليه ولديه معلومات أكيدة عن مكان وجود المفتاح.
قال صوت بلعزبول يسأله:
- وهل حاولت ملاحقته ومعرفة المكان الذي أخفاه فيه؟
مجيبًا قال لوسيفر:
- بالتأكيد, ولكن اللعين نجح في نقله إلى معبد جماعته الذي لم ننجح في التوصل إليه حتى الآن.
قال بلعزبول يسأله:
- وماذا عن أهل هذا الشخص يا لوسيفر؟ لماذا لم تقم بتتبعهم؟
أخذ لوسيفر نفسًا عميقًا للسيطرة على انفعاله قبل أن يقول مجيبًا:

- لقد فعلت يا مولاي, ولكن دون جدوى, فلم يكن لهذا الشخص سوى زوجة عجوز ماتت منذ زمن بعيد, وليس له إخوة أو أولاد يمكننا استخدامهم, و...

قال بلعزبول يقاطعه بلهجة تسلل إليها شيء من الغضب:

- كفى يا لوسيفر.. لقد أغضبتني بحق.. أريد هذا المفتاح بأي ثمن.. هل تفهم هذا؟ بأي ثمن!

ولدهشة لوسيفر لانت لهجته فجأة وهو يقول:

- لقد جعلتك أميرًا لعالم الظلام دون البقية من سفراء الجحيم السبعة.. أنت الوحيد الذي كنت وما زلت تحظى بثقتي, وأنت الوحيد القادر على العثور على مكان المفتاح وجلبه إلي.. أنت فقط يا لوسيفر أمير الظلام.

شعر لوسيفر برجفة تسري من رأسه وحتى أخمص قدميه وهو يقول محنيًا رأسه:

- إنه شرف عظيم تغمرني به يا مولاي.

ساد الصمت قليلاً قبل أن يأتي صوت بلعزبول:

- اعثر على المفتاح إذًا.. اقلب الأرض كلها بحثًا حتى تصل إليه وتأتيني به.. هل تفهم هذا؟

أومأ لوسيفر برأسه إيجابًا وهو يقول:

- بالتأكيد يا مولاي سأفعل.. أعدك بهذا.

***

-٢-

المكان: الجبل الأبيض.. معبد جماعة النور المقدس..

الزمان: غير معلوم!

***

كان مشهد الجبل الأبيض مهيبًا بحق عندما أشرقت الشمس هذا الصباح, وأرسلت بخيوط أشعتها الذهبية لتلتقي بالثلوج البيضاء التي تغطيه, منحية أمامها سحب الضباب الرمادية التي تحيط به على الدوام, وانعكست الأشعة مثيرة ألقًا ذهبيًّا يخطف الأبصار, وعلى قمة هذا الجبل المهيب بُنِيَ المعبد الأبيض لجماعة الضوء المقدس منذ زمن بعيد موغل في عمق التاريخ.

من حجارة الجبل البيضاء بنيت جدرانه وأعمدته, وتم صقلها لتتألق على نحو باهر, وفي واجهة المعبد الضخمة بدت أعمدة دائرية نقش كل واحد منها بنقش يمثل زهرة بيضاء ثمانية البتلات ومن حولها تمثيل لهالة من ضوء باهر, وفي منتصف الواجهة شيدت بوابة المعبد من الخشب المغشى بطبقة بيضاء في منتصفها النقش ذاته, وقد علت البوابة قبة ذهبية.

لزمن طويل كان هذا المعبد مقرًا ومركزًا للحرب الشرسة بين قوات الخير ممثلة في الجماعة, وقوات الشر ممثلة في عالم الظلام وسيده بلعزبول الكبير ومن ورائه سفراء الجحيم السبعة.

بالقرب من القبة الذهبية فوق بوابة المعبد وقف شاهين الأبيض مستقبلاً شمس اليوم الجديد على بشرته, مسبلاً جفنيه, وقد بدت على ملامحه آي الاسترخاء والسكينة, وإن كانت أعماقه تعصف بشدة بسبب الأحداث الأخيرة عندما التقى بلوسيفر, أمير الظلام, وأكثر السفراء السبعة قوة وبطشًا, والخادم الأكثر ثقة لدى بلعزبول الكبير.

لقد كانت معركة طاحنة بينهما, ولكنه نجح في الوصول إلى صفوان قبل لوسيفر, وبهذا منعه من الوصول إلى المكان الذي يختفي فيه المفتاح الأسود.

- سيدي شاهين.

فتح شاهين الأبيض عينيه ليبدو لونهما الأزرق بلون السماء الصافية, والتفت إلى الشاب الوسيم الذي وقف وراءه ينظر إلى الأرض, وقال بصوته الهادئ العميق:

- ماذا وراءك يا سليم؟

رفع سليم عينيه وهو يقول مجيبًا:

- المعلم الأكبر يرغب في رؤيتك الآن.

تنهد شاهين, وأومأ برأسه إيجابًا وهو يقول:

- سوف أذهب إليه حالاً.

وصمت هنيهة قبل أن يقول متسائلاً:

- وماذا عن صفوان؟ هل هو بخير؟

تردد سليم قليلاً قبل أن يقول مجيبًا:

- نظريًّا هو بخير يا سيدي, ولكن...

بتر عبارته وقد لاح التردد على ملامحه, فعقد شاهين حاجبيه وهو يقول:

- ولكن ماذا؟!

ابتلع سليم ريقه قبل أن يقول مجيبًا:

- يبدو أن الانتقال أصابه بشيء ما يا سيدي, فهو ما زال في تلك الغيبوبة الغامضة, ولم تنفع محاولات المعالجين في إنعاشه.

قال شاهين يسأله بقلق:

- وكيف تتم تغذيته إذًا؟! إنه هنا منذ ثلاثة أيام!

قال سليم:

- البلورات البيضاء.. لقد نجح المعالجون في زرعها داخل جسده, وهي تمده بالطاقة اللازمة ليبقى حيًّا حتى نتمكن من العثور على حل يخرجه من هذه الغيبوبة.

حك شاهين ذقنه الحليق بسبابته, لتتعلق عينا سليم بذلك الخاتم ذي الماسة البيضاء في وسطاه, وقد نقش عليها شعار الجماعة, وشعر هذا الأخير بقلبه

يخفق بقوة عندما تألقت الماسة تحت ضوء الشمس.. إنها مكانة رفيعة تلك التي يحظى بها السيد شاهين في الجماعة, فهو الوحيد الآن الذي يحمل لقب الأبيض مقترنًا باسمه, وهذا يعني أنه الأقوى والأكثر حكمة بعد المعلم الأكبر بالطبع, وهو المرشح يومًا ما ليكون المعلم الأكبر للجماعة.

- وماذا عن حراسته؟ هل تسير الأمور كما تم الترتيب لها؟

انتزعه سؤال شاهين من أفكاره, فنظر إليه وهو يجيب بسرعة:

- بالتأكيد يا سيدي, فقد تم ترتيب الحراسة على ثلاث دوريات طوال اليوم, وفي كل مرة يتم انتقاء الأفراد القائمين بمهامها بعناية فائقة.

أومأ شاهين برأسه إيجابًا وهو يقول:

- هذا جيد. لا أريد أن يغيب عن أنظارنا لحظة واحدة يا سليم, فلوسيفر سيصنع المستحيل للوصول إليه.

رفع سليم حاجبيه مندهشًا وهو يقول:

- ولكن لوسيفر لا يمكنه الوصول إلى هنا يا سيدي, و...

قال شاهين الأبيض يقاطعه:

- الأمر مختلف هذه المرة. لقد كانت المعركة الأخيرة رهيبة.. فوق أي وصف, خصوصًا أن لوسيفر اقترب فيها من هدفه كثيرًا, ألا وهو حيازة المفتاح الأسود, وهذا يعني أنه سيصنع المستحيل للوصول إلى مقرنا السري. وهذا يعني أن أمننا الذي دام لزمن طويل مهدد الآن, ولا بُدَّ أن نكون دومًا على أهبة الاستعداد للمعركة القادمة ضد عدونا.

شعر سليم بالرهبة تجتاحه وهو ينظر إلى معلمه وقدوته في المعبد..

الأمر خطير بالفعل..

المعبد معرض لخطر الانتهاك في أي وقت..

صحيح أنه سمع الكثير عن لوسيفر, وبأنه أقوى سفراء الجحيم السبعة..

ولكنه لم يخض أي معركة ضده على الإطلاق..

وكثيرون من أبناء المعبد، ومنهم والداه، ماتوا في معارك عديدة على مر

العصور ضد هذا الشخص المخيف..
ذلك الشخص الذي لا يعرف عنه أحد الكثير من المعلومات..
هل هو بشري حقا؟! أم واحد من مخلوقات عالم الظلام؟!
وإن كان بشريًّا فكيف اكتسب قواه المخيفة؟!
وكيف أصبح واحدًا من زمرة بلعزبول الكبير المقربة؟!
كيف؟! وكيف؟! وألف ألف كيف؟!
ولكن دون أي إجابات شافية..
حتى شاهين الأبيض أخبره ذات مرة - ورغم كل المعارك التي خاضها ضده - بأنه لا يعرف إلا أقل القليل عن لوسيفر..
- سوف أذهب الآن للقاء المعلم الأكبر, فعد إلى عملك يا سليم.
قالها شاهين الأبيض وهو يسير نحو درجات كبيرة هابطة, فأحنى سليم رأسه وهو يقول:
- بالتأكيد يا سيدي.

***

-٣-

المكان: صومعة المعلم الأكبر لجماعة النور المقدس.

الزمان: غير معلوم.

***

الصومعة غارقة في نصف ظلام مهيب, ورائحة بخور قوية تعبق في الجو, وعلى مقعد خشبي واطئ كان المعلم الأكبر جالسًا وقد بدت المهابة على وجهه المليء بالتجاعيد, ومنحته لحيته البيضاء المهذبة بعناية مزيدًا من الوقار والمهابة, وبدت ثيابه بسيطة للغاية دون أي نقوش تزينها, وكذلك كان أثاث الصومعة متواضعًا, فقط فراش صغير, وخوان استقرت عليه بعض المخطوطات, وأقلام للكتابة, ودواة للحبر, والمقعد الذي جلس عليه المعلم, ومقعد آخر مواجه له.

- اجلس يا شاهين.

قالها المعلم بصوت مهيب كملامحه, فجلس شاهين وهو يقول:

- كنت سآتي إليك بعد اكتمال شروق الشمس يا سيدي, ولكنك سبقتني وأرسلت سليم.

ارتسمت ابتسامة وقور على شفتي المعلم وهو يقول:

- أنا أعرف عشقك لمشهد شروق الشمس, ولهذا أرسلت إليك سليم, فلم أكن أطيق صبرًا حتى تخبرني بما حدث في مواجهتك الأخيرة مع عدونا اللدود.

وصمت هنيهة قبل أن يقول وقد تلاشت ابتسامته, واكتست ملامحه بشيء من التوتر:

- لوسيفر.. أمير الظلام.. فكيف سارت الأمور؟

لاذ شاهين بالصمت لبعض الوقت قبل أن يقول مجيبًا:

- لقد نجحت في الوصول إلى مكان صفوان قبله, وإذا وضعنا في الاعتبار بأنه الشخص الوحيد خارج حدود عالمينا الذي يعرف معلومات أكيدة عن مكان وجود المفتاح الأسود, فإن هذا يعد أكبر هزيمة للوسيفر منذ واجهته للمرة

الأولى يا سيدي.
تأمل المعلم ملامح شاهين الأبيض لبعض الوقت قبل أن يقول وهو يحك لحيته بسبابته:
- ما الذي يؤرقك يا شاهين؟
نظر إليه شاهين بعينين حملتا الكثير من القلق والتوتر والعديد من الانفعالات العاصفة قبل أن تند منه تنهيدة حارة وهو يقول مجيبًا:
- إنه لوسيفر يا سيدي هو ما يؤرقني.
عقد المعلم حاجبيه وهو يقول:
- ولكنها ليست المرة الأولى التي تواجهه فيها! بل إنك أذقته العديد من الهزائم المريرة طوال السنوات الطويلة الماضية, فما الذي اختلف هذه المرة؟!
تنهد شاهين مرة أخرى قبل أن يقول:
- لوسيفر هو أقوى سفراء الجحيم السبعة.
قال المعلم متعجبًا:
- الأمر ليس بجديد, فنحن نعرف أن بلعزبول يعتبره خادمه الأكثر قوة على الإطلاق, ولهذا كلفه مهمة العثور على المفتاح الأسود!
قال شاهين وهو يلوّح بكفه أمام وجهه:
- الأمر ليس كذلك فحسب يا سيدي.
ازداد انعقاد حاجبي المعلم وهو يقول:
- ما الذي تقصده بالضبط؟! أفصح!
تردد شاهين قليلاً قبل أن يقول:
- لا أريد أن أظهر أمامك بمظهر الخائف, أو من فقد عزيمته للقتال من أجل الهدف الأسمى الذي نشأت من أجله جماعتنا.. ولكن في مواجهتي الأخيرة مع لوسيفر لإنقاذ صفوان.. اكتشفت أنني لم أكن أواجه العدو الذي عرفته منذ زمن بعيد.. ولكن.. لقد كان شخصًا آخر.. شخصًا تضاعفت قوته على نحو مخيف, حتى إنه نجح في إصابتي على نحو بالغ في المعركة الأخيرة قبل

عملية الانتقال.
رفع المعلم حاجبيه مندهشًا هذه المرة وهو يقول مشيرًا إلى جسد شاهين:
- ولكني أراك سليمًا أمامي, ولا يوجد خدش واحد بك, فعن أي إصابة تتحدث؟!
أخذ شاهين نفسًا عميقًا ملأ به صدره, وحبسه للحظات قبل أن يخرجه في زفرة حارة ويقول مجيبًا:
- الإصابة التي أتحدث عنها لم تكن خارجية يا سيدي, ولكنها إصابة داخلية.. لقد تضاعفت قوة لوسيفر بشكل لم أكن أتخيل وجوده إلا لدى بلعزبول الكبير نفسه.. لقد تسبب قتالي الأخير معه في إصابة بالغة بأعضاء جسدي الداخلية, خصوصًا الحيوية منها كالقلب والرئة, حتى إنني بصقت الكثير من الدم هذا الصباح قبل شروق الشمس.. أنت تعرف أنني درست أساليب العلاج هنا، ولهذا أستطيع الجزم بأن إصابتي بالغة, وقد ينهار جسدي في أي لحظة, و...
بتر عبارته وهو يخفض عينيه بسرعة, ولكن رجفة سرت في جسد المعلم عندما لمح الدموع تتألق في عينيه, فارتفع حاجباه أكثر هذه المرة وهو يقول مائلاً للأمام قليلاً:
- شاهين! أنت تبكي! إنها المرة الأولى التي أرى فيها دموعك!
مسح شاهين عينيه بسرعة قبل أن يقول وهو ينظر إلى وجه المعلم المندهش:
- أنا لا أبكي من أجل نفسي يا سيدي, فلقد وهبت حياتي لخدمة الجماعة, ولا أبالي لو فقدتها من أجل هذا الهدف السامي, ولكني أبكي خوفًا مما قد يحدث لو مت الآن.. لوسيفر سيصنع المستحيل للوصول إلى هنا واستعادة صفوان.. وبقوته هذه.. أخشى أنه سيفعلها ذات يوم.. فماذا نحن فاعلون لو نجح؟! كيف سنواجهه وهو يملك قوة توازي قوة سيده بلعزبول الكبير؟! ماذا لو قرر سفراء الجحيم السبعة الانضمام إليه عندما يصل إلينا؟! هل نحن مستعدون حقًا لمواجهة كهذه؟!

ساد صمت مهيب بعد آخر كلمة نطق بها شاهين..
صمت له ثقل خانق على الصدور..
صمت حمل رائحة الخطر.. ونُذُرَ الهلاك..
صمت بدا وكأنه يرفع الراية السوداء, ويعلن ساخرًا نهاية الطريق..
صمت بدت في طياته نذر عالم الظلام.. واضمحلال قوة النور في العالم..
- لن نقف مكتوفي الأيدي نبكي دون أن نفعل شيئًا.. لم يعد أمامنا إلا أن نبدأ نحن بالهجوم على لوسيفر قبل أن يفعل هو.
قالها المعلم بلهجة حاسمة, وعيناه تتألقان بقوة, فنظر إليه شاهين وهو يقول:
- وكيف سنفعلها يا سيدي؟
لاذ المعلم بالصمت قليلاً قبل أن يقول دون أن تهتز لهجته الحاسمة ذرة واحدة:
- الحل لا يوجد في هذا الزمن.. بل هناك.
ضاقت عينا شاهين وهو يقول:
- سيدي.. لعلك لا تقصد...
قال المعلم يقاطعه:
- أجل هذا هو ما عنيته بالضبط.. لقد خضنا العديد من المعارك ضد لوسيفر عبر العصور, في محاولة منا للوصول إلى المفتاح الأسود قبله, والآن وبعد أن عثرنا على صفوان وقد وقع في تلك الغيبوبة الغامضة, وحتى يستعيد وعيه مرة أخرى, وقبل أن نجد عدونا فوق رءوسنا, فلا بُدَّ أن نحاربه بهذه الطريقة لمنعه من الوصول إلى غرضه.
ابتلع شاهين ريقه بصوت مسموع قبل أن يقول:
- سوف نعلنها حربًا شاملة على لوسيفر إذًا يا سيدي!
أومأ المعلم برأسه إيجابًا وهو يقول:
- لا خيار أمامنا سوى هذا, فنحن الآن فعليًّا أكثر ضعفًا من لوسيفر وحده,

فماذا لو تآزر معه باقي سفراء الجحيم الآخرين؟ لا بُدَّ أن نخوض المعركة منذ البداية.. لا بُدَّ أن نواجه لوسيفر بقوته التي عهدناها من قبل.

نظر إليه شاهين قليلاً قبل أن يقول:

- ولكن لو أحس لوسيفر في هذا الزمن بما نفعله, فسوف يسرع من أجل التصدي لنا دون شك.

قال المعلم وهو ينهض عن مقعده:

- هذا مؤكد.. سوف يشعر لوسيفر بما نفعله.. ولهذا لا بُدَّ من الاستعداد جيدًا أن تنطلق في هذه الرحلة.

وصمت هنيهة قبل أن يقول:

- أريدك أن تختار ثلاثة من أفضل العناصر الشابة في صفوف المحاربين بالمعبد.. اشرح لهم بالضبط ما الذي سيقبلون عليه.. كن صريحًا معهم، أخبرهم أنها ستكون الرحلة الأخيرة لهم.. لن يتمكنوا من العودة إلى حياتهم كما اعتادوها هنا على قمة الجبل.. أخبرهم بأنهم سيواجهون عدوًا لا يرحم.. أخبرهم بأنهم سيخوضون الحرب الأخيرة من أجل إبقاء راية النور الأبيض عالية في السماء.

وكانت كلماته هي فصل الختام..

وشعر شاهين في هذه اللحظة بكل ذرة في كيانه ترتجف.. وبقوة.

***

الورقة الثانية

الفريق

-١-

المكان: معبد النور المقدس.

الزمان: غير معلوم!

***

أنذر الجو بليلة باردة على قمة الجبل الأبيض, وعلى الرغم من اكتمال القمر هذه الليلة فإن ضوءه الفضي لم ينجح في اختراق أستار الضباب التي أحاطت بقمة الجبل على نحو يثير الرهبة, ويبعث قشعريرة في الجسد لهذا المنظر المخيف الذي يختفي وراءه معبد النور السري منذ زمن طويل, بعيدًا عن أعين جواسيس عالم الظلام, وأتباع بلعزبول وسفراء الجحيم السبعة.

وعلى الرغم من برودة الجو القارسة, وقوانين المبيت الصارمة التي يتبعها جميع من يعيشون وراء الأسوار البيضاء، جلس سعد على حافة تلك الشرفة بالجهة الغربية من المعبد, وعلى حجره استقرت قيثارة صغيرة لها حواف فضية, وأوتار رقيقة راحت أنامله تداعبها برفق لتصدر ذلك اللحن الناعم الذي انساب في صمت الليل على نحو يثير المشاعر الرومانسية في أشد القلوب قسوة.

كان سعد شابًا في منتصف العقد الثالث من عمره, خمري البشرة, ذا عينين خضراوين بلون العشب النضر في نهار ربيعي مشمس, متناسق القوام, شعره أسود طويل بلغ كتفيه, وبدت ثيابه رغم برودة الجو بسيطة للغاية, وكأنه يستعذب لسعة البرد القاسية لجسده.

وفي الوقت ذاته وقفت أريج أمام نافذة مخدعها بالمعبد، وقد بدت على ملامحها آي التأثر وهي تسمع الأنغام العذبة تنساب عبر الصمت حتى تصل إليها في الجهة الجنوبية من المعبد حيث أماكن سكن الفتيات, ومن فقدن أزواجهن في الحرب ضد عالم الظلام وبلعزبول الكبير.

في نهاية العقد الثاني من عمرها, ذات بشرة بيضاء كالحليب مشربة بحمرة خفيفة, ذات عنق طويل وناعم وكأنه المرمر, عيناها الزرقاوان كسماء صافية,

شعرها الأسود الناعم وكأنه الليل البهيم, وعلى كتفيها استقر شال صوفي أسود لفَّته حول جسدها بعناية اتقاء البرد.

- لم يغير عادته إذًا.

التفتت أريج إلى صاحبة الصوت لترى فتاة تماثلها سنًّا, ذات بشرة خمرية, وعينين عسليتان, وشعر بني قصير, وعلى شفتيها ابتسامة عابثة, فتنهدت بحرارة قبل أن تقول وهي تعاود النظر عبر النافذة:

- أنتِ تعرفين أخاك أكثر مني يا ليلى.. مصرٌّ هو دومًا على مواقفه.

اقتربت منها ليلى, وقالت وهي تستند بدورها إلى حاجز النافذة:

- أنتِ تملكين قلبًا قُدَّ من صخور هذا الجبل الأبيض يا أريج.

نظرت إليها أريج باستنكار وهي تقول:

- ما الذي تقولينه يا ليلى؟! أنا؟! هراء...

قالت ليلى تقاطعها وابتسامتها تتحول إلى الحزن:

- توقفي عن هذا من فضلك.. أنتِ صديقتي منذ الطفولة, وأنا أعرف جيدًا أنك لا تكترثين للمشاعر التي يحملها سعد في قلبه من أجلك.

صمتت هنيهة قبل أن تقول، وقد تلاشت ابتسامتها, واكتست لهجتها بنبرة مريرة:

- وعلى الرغم من هذا, فإن أخي لا يفقد الأمل أبدًا, وفي كل ليلة يعزف لك هذا اللحن يناجي به مشاعرك المتحجرة تجاهه, عله ينجح يومًا ما في إصابة أوتار قلبك الجافة بسهام ألحانه الدافئة.. مسكين أنت يا أخي الحبيب.

نظرت إليها أريج بعينين متسعتين في دهشة, وارتجفت شفتاها لبعض الوقت قبل أن تجد في نفسها القدرة لتقول:

- ليلى.. أنتِ...

قاطعتها ليلى مرة أخرى وهي تقول:

- أنتِ مندهشة لأنني أتحدث إليكِ على هذا النحو للمرة الأولى.. أليس كذلك؟

ظلت أريج تنظر إليها قليلاً قبل أن تقول وهي تهز رأسها إيجابًا:
- بلى, فلم نتحدث من قبل عن مشاعر سعد تجاهي بهذه الجدية.. أنتِ دومًا تعرفين أنني أعامله كأخٍ لي فقط, ولم أعده يومًا بأنني سأبادله ذات المشاعر, و.. و...
بترت عبارتها وهي تشيح بوجهها بعيدًا عن عيني صديقتها التي قالت تسألها:
- وماذا يا أريج؟
ابتلعت أريج ريقها بصوت مسموع دون أن تجيب, فقالت ليلى وهي تربت كتفها برفق:
- ولكنكِ تحبين شخصًا آخر يا عزيزتي.
لم تُحِرْ أريج جوابًا, ولكن ارتجافة جسدها أنبأت بما لم تقدر على التفوه به أمام صديقتها الوحيدة, و..
- أنا أعرف أنكِ لا تملكين قلبًا متحجرًا, ولكن مشاعرك كلها تنصب في واد آخر غير الوادي الذي يهيم فيه أخي سعد منذ سنوات.
قالتها ليلى وهي تتحسس شعر أريج بحنان, ولمّا لم تنبس أريج بحرف, تابعت قائلة:
- أنتِ تحبين سليم.. الذي يعمل على خدمة المعلم الأكبر منذ طفولتكما.. أليس كذلك؟
نظرت إليها أريج بعينين دامعتين وهي تهز رأسها إيجابًا, فتنهدت ليلى قبل أن تقول وابتسامة باهتة ترتسم على شفتيها:
- ولكنه لا يبادلك المشاعر ذاتها.
قاومت أريج دموعها بصعوبة وهي تقول:
- إنه لا يشعر بوجودي على الإطلاق مهما فعلت لألفت انتباهه إلى مشاعري تجاهه.
رفعت ليلى حاجبيها وهي تقول بلهجة مندهشة:

- ولماذا تصرين على منح قلبك ومشاعرك مثل هذا الإنسان؟! وهناك من يذوب عشقًا فيك! من هو على استعداد أن يكون نسمة الهواء الباردة التي تداعب وجهك في هذه اللحظة! ألا يكفي ما يفعله أخي سعد لتحريك مشاعرك وتحويلها نحو واديه الدافئ بدلا من وادي البارد الذي تهيمين فيه وحدك؟!

لم تتمكن أريج من مقاومة دموعها أكثر من هذا, فتركت لها العنان لتنساب على وجنتيها وهي تقول:

- وهل تملك الواحدة منا قلبها يا ليلى؟ لقد وجدت نفسي أحب سليم منذ كنت طفلة, ومع كل يوم يمر كانت مشاعري تتعلق به أكثر فأكثر, ورغم ما تصفينه بالوادي البارد الذي أهيم فيه وحدي, فإني أجده دافئًا كأيام الربيع المشمسة.

قالت ليلى تسألها دون أن تخفض حاجبيها:

- وماذا عن سعد؟!

نظرت إليها أريج وهي تقول:

- لقد حاولت كثيرًا أن أمنح الاهتمام لمشاعر سعد.. صدقيني.. حاولت بقوة.. ولكن قلبي كان دومًا لي بالمرصاد.. كان يقيم الحواجز بينه وبين هذه المشاعر التي أشعر بالألم كلما شعرت بأنها ترتد خائبة إلى سعد عندما لا تجد عند قلبي ملاذًا لها.. صدقيني يا ليلى.. حبي لسليم لا اختيار لي فيه.. بل هو قدري.

قالت ليلى باستنكار:

- وهل من المعقول أن تكرسي حياتك ومشاعرك من أجل رجل لا يشعر بوجودك؟! أنتِ تحكمين على نفسك بما هو أشد من الموت.. الوحدة.

وهزت رأسها ببطء قبل أن تقول بسخرية:

- يا له من شيء عجيب ذلك الشيء الذي يسمى الحب.. أنتِ تحبين سليم.. وسليم لا يحبك.. وسعد يحبك.. وأنتِ لا تحبين سعد.. أليس الأمر مثيرًا

للسخرية حقًّا؟!
انفرجت شفتا أريج لتقول شيئًا ما, ولكن طرقًا خفيفًا على باب المخدع جعلها تحجم وهي تقول بقلق:
- من الطارق في مثل هذا الوقت؟! هل هي الحكيمة اكتشفت مخالفتنا قوانين المبيت الصارمة؟
هزت ليلى كتفيها, وقبل أن تقول شيئًا أتاهما صوت امرأة عجوز تقول بلهجة حازمة:
- أريج..المعلم شاهين الأبيض يطلب رؤيتك الآن.
ارتفع حاجبا الفتاتين في دهشة عارمة, وسرت رجفة قوية في جسد أريج لم يكن لها أي علاقة بالجو البارد..
المعلم شاهين الأبيض؟! بنفسه يطلب رؤيتها؟! وفي مثل هذا الوقت؟!
- وما الذي يريده مني المعلم شاهين الأبيض يا سيدتي الحكيمة؟!
قالتها أريج وهي تفتح باب المخدع ليظهر لها وجه الحكيمة المتجعد وعيناها الصارمتان وهي تقول مشيرة بسبابتها:
- لا تطرحي الكثير من الأسئلة.. اذهبي الآن إلى المعلم شاهين.. وهو سيخبرك بما يريده منكم.
قالت أريج وحاجباها ينعقدان:
- منا؟! ما الذي تقصدينه؟!
زفرت الحكيمة بقوة, وقالت وملامحها تلين قليلاً:
- يا إلهي! حسن يا أريج.. كل ما أعرفه هو أن المعلم شاهين طلب استدعاء كل من سعد وسليم لرؤيته أيضًا.
قالت أريج دون تصديق:
- سعد؟! وسليم؟! ما الذي يحدث يا ترى؟!
استعادت ملامح الحكيمة صرامتها وهي تقول:
- لا فكرة لدي عن الأمر.. والآن لا تقفي أمامي كالبلهاء هكذا.. هيا أسرعي.

قالتها واستدارت لتسير مبتعدة عن المخدع في حين التفتت أريج ببطء نحو ليلى..

والتقت الأعين وتبادلت سؤالاً واحدًا فقط:

ما الذي يريده المعلم شاهين منها ومن سعد وسليم؟!

***

-٢-

كان سعد مستمرًا في العزف على قيثارته, مرسلاً ألحانه العذبة إلى الليل البارد, والضباب القاتم علَّها تصل إلى قلب محبوبته وتخترق حُجُبَه السميكة, وتستقر هناك على الدوام, لكن وقع خطوات ثقيلة انتزعه من عالمه الرومانسي الحالم, فأفلت الأوتار والتفت ليرى ذلك الشخص يقترب منه متدثرًا بعباءة ثقيلة التفت حول جسده, وفي يده مصباح صغير ندَّ عنه ضوء باعث على الدفء, فضم قيثارته إلى صدره وهو يقول عاقدًا حاجبيه:

- من هناك؟

أتاه صوت هادئ يقول:

- إنه أنا يا سعد.

ازداد انعقاد حاجبيه وهو يقول:

- سليم؟!

اقترب منه سليم لتظهر ملامحه الوسيمة, تزينها ابتسامة واسعة, فابتلع ريقه قبل أن يقول:

- لا تقل لي إنك قررت خرق قوانين المبيت مثلي يا سليم, فهذا ليس من عادتك!

هازًّا كتفيه قال سليم دون أن تتزحزح ابتسامته قيد أنملة:

- على العكس يا صديقي, فأنا هنا بأمر من المعلم شاهين الأبيض.

سَرَتْ رجفة في جسد سعد وهو يقول مفلتًا قيثارته لتستقر بجانبه:

- ماذا تقول؟!

تنهد سليم بحرارة قبل أن يقول:

- المعلم.. شاهين.. الأبيض.. أنا هنا بناءً على طلبه.

نهض سعد من جلسته على حافة الشرفة, وداعبت نسمات بادرة شعره الطويل وهو يقول متسائلاً:

- وهل أمرك المعلم شاهين بالقدوم إلى هنا والاستماع إلى ألحاني يا سليم؟!

وصمت هنيهة قبل أن يقول ولهجته تكتسب رنة ساخرة بعض الشيء:
- لا تقل لي إنه أرسلك لمعاقبتي على خرق قوانين المبيت, فأنا أفعل هذا دائمًا, والعقاب متروك للحكماء وليس لمن هو في مكانة المعلم شاهين الأبيض, و...
قال سليم يقاطعه بلهجة صارمة وقد تلاشت ابتسامته:
- توقف عن مخاطبتي بهذه الطريقة الصبيانية, فنحن لم نعد أطفالا.. نحن الآن مقاتلين في جماعة النور المقدس.. ألا تنضج أبدًا؟!
اكتست ملامح سعد بالغضب وهو يهتف:
- ما الذي تريده يا سليم؟! اغرب عن وجههي الآن, وإلا أريتك حقيقة الطرق الصبيانية.
أخذ سليم نفسًا عميقًا من الهواء البارد ملأ به صدره, وأخرجه في زفرة قوية قبل أن يقول:
- لو لم يأمرني المعلم شاهين بالبحث عنك وجلبك إلى مخدعه لما كلفت نفسي عناء الحديث إلى من هو مثلك أبدًا.
ارتفع حاجبا سعد وهو يقول:
- المعلم شاهين يبحث عني؟! ولكن لماذا؟!
كان الأمر مثيرًا للدهشة بحق, فهو لم يصبح في زمرة المقاتلين رسميًّا إلا منذ فترة قصيرة للغاية, ولم يخض حتى الآن أي قتال حقيقي ضد أعوان بلعزبول الكبير سيد عالم الظلام, فلماذا يطلبه المعلم يا ترى وهو المقاتل الأول في الجماعة؟!
هز سليم رأسه وهو يقول:
- لا أملك أدنى فكرة عن الأمر.. فلقد طلب مني العثور عليك.. ولا تمنح نفسك فوق ما تستحق, فلم يطلبك المعلم وحدك.
عقد سعد حاجبيه وهو يقول:
- ما الذي تقصده؟
مجيبًا قال سليم وابتسامته تعاود الارتسام على شفتيه:

- لقد طلبني أنا وأريج معك أيضًا.. من الواضح أنه سيسند لنا مهمة نحن الثلاثة معًا.

شعر سعد بقلبه يخفق بقوة عندما سمع اسم أريج يتهادى على شفتي سليم, ولانت ملامحه قليلاً, وشعر بجفاف في حلقه, ولكنه تمالك نفسه عندما لمح تلك النظرة المطلة من عيني سليم.. ذلك اللئيم.

- ما بالك تجمدت كتمثال يا سعد؟!

قالها سليم وابتسامته تتسع, وفي هذه اللحظة أراد سعد أن يشبعه ضربًا حتى يسيل دمه, ولكنه سيطر على هذا الشعور بقوة وقال وهو يلتقط قيثارته:

- سوف أذهب لأغير ثيابي أولاً.. اسبقني أنت.

هازًّا رأسه نفيًا قال سليم:

- خطوتي تسبق خطوتك.. المعلم يطلبنا على وجه السرعة.

***

-٣-

في مخدعه وأمام منضدة استقرت عليها العديد من المخطوطات المُصْفَرَّة جلس شاهين الأبيض, وعلى ملامحه بدت آي التركيز الشديد, والتفكير العميق, وعيناه تتابعان كل كلمة سجلتها المخطوطات عن الحرب ضد عالم الظلام, وبالأخص تلك التي تحدثت عن عدوه اللدود منذ زمن بعيد.. لوسيفر.. أمير الظلام.

كانت كل ذرة من كيانه تشعر بالتوتر والترقب منذ لقائه الأخير مع المعلم الأكبر..

تلك الطريقة الوحيدة التي أتى بها المعلم لمواجهة لوسيفر بقوته الجديدة أورثته قلقا رهيبا, فالأمر لن يكون هينًا على الإطلاق, فهل من الحكمة الدفع بثلاثة من المقاتلين الشبان بالمعبد لخوض هذه التجربة القاسية؟! هل من المنطق الدفع بهم في قلب هذا الأتون المشتعل وهم لم يخوضوا أي معركة حقيقية منذ بدأت تدريباتهم بالمعبد وأصبحوا رسميًّا في زمرة المقاتلين؟! وما الذي سيقدم عليه لوسيفر عندما يعرف بما يخططون له؟ بالتأكيد سيعرف ما هم فاعلون.. لا يدري كيف, ولكنه دون شك سيعرف, وسيسعى بكل قوته للتصدي لهم وإحباط مخططهم والفوز في هذه الحرب المستعرة.

كان عقله يعمل في أكثر من اتجاه, ويتحرك هنا وهناك.. يضع جميع الاحتمالات الممكنة للفشل أو النجاح في هذه المهمة عندما ارتفعت دقات خفيفة على باب المخدع, فالتفت إليه بحركة حادة قبل أن يزفر بقوة وهو يقول بصوت هامس:

- لقد أتوا.

وأخذ نفسًا عميقًا ملأ به صدره, سيطر به على انفعالاته, ورسم تعبيرًا جامدًا خلا من أي انفعال على ملامحه قبل أن يقول بصوت ثابت:

- ادخلوا.

انفتح الباب ودلف إلى المكان الشبان الثلاثة؛ سعد, وسليم, وأريج, وعلى

الفور تفحصتهم عينا شاهين الزرقاوان.. لاحظَ الحماس البادي في عيني سليم وعلى ملامحه الوسيمة.. ولاحظ كذلك التوتر المرتسم على ملامح أريج الفاتنة, ولم تَفُتْه تلك النظرات التي كانت تختلسها بين الحين والآخر إلى سليم, الذي كان، هذا الأخير، لا يعيرها أي اهتمام على الإطلاق.

أخيرًا تركزت عيناه على ملامح سعد الحالمة, تلك الملامح الهادئة التي تجعله بعيدًا كل البعد عن ملامح المقاتلين التي ألفها في سنوات عمره الطويلة, كما لم تَفُتْه قَط تلك النظرات التي تفضح عشقه الواضح لأريج, التي لم تكن تعيرها أي اهتمام كما هو الحال مع تجاهل سليم نظراتها التي تفضح عشقها له.

ظلت عيناه تدوران بين الوجوه الثلاثة قبل أن يتنهد ويقول:

- اجلسوا.

اتخذ الثلاثة مجلسهم أمامه, فقال وهو يشبك ذراعيه أمام صدره:

- سوف أختصر الوقت عليكم منذ البداية, وأخبركم بسبب استدعائي لكم في مثل هذا الوقت من الليل, ولكن دعوني أطرح عليكم سؤالاً مهمًا.

وصمت هنيهة قبل أن يقول وهو يميل للأمام قليلاً:

- هل أنتم مستعدون للتضحية بحياتكم من أجل القضية التي يحارب المعبد من أجلها منذ زمن بعيد؟

ارتسمت الدهشة على وجوه المقاتلين الثلاثة, وألجمت المفاجأة ألسنتهم لبعض الوقت قبل أن يتجاوز سليم الموقف ويقول وهو يرسم تعبيرًا حماسيًّا على وجهه:

- بالتأكيد أيها المعلم.. لقد بدأنا تدريباتنا ونحن موقنين بأننا قد نضحي بحياتنا يومًا ما في سبيل ما نحارب من أجله.

تأمل شاهين ملامحه الوسيمة لبعض الوقت قبل أن تستقر عيناه على وجه سعد الذي بدا عليه توتر شديد, وراح يضم كفيه ويفردهما عدة مرات قبل أن يقول بصوت ضعيف:

- نحن مستعدون أيها المعـ...

قال شاهين يقاطعه بلهجة صارمة:

- ارفع صوتك حتى أتمكن من سماعك أيها المقاتل سعد.

سرت رجفة عنيفة في جسد سعد عندما صكت هذه اللهجة الصارمة أذنيه, واتسعت عيناه عن آخرهما عندما التقتا بعيني المعلم الصارمتين. شعر وكأنه يهوي في بئر عميقة من الأزرق الصافي. شعر وكأنه يسمع أصوات قتال عنيف تدوي من حوله. بدا له وكأنه في قلب ساحة قتال والنيران تحيط به من كل جانب, وأنه لم يعد يجلس في مخدع المعلم شاهين الأبيض.

- تكلم أيها المقاتل.

قالها المعلم بلهجته الصارمة لينتزعه من تلك الأحسايس العجيبة, فاستجمع شتات نفسه قبل أن يقول بصوت قوي لم تعتده منه أذناه:

- نحن مستعدون أيها المعلم للتضحية بحياتنا من أجل القضية السامية التي تأسست الجماعة من أجلها.

أومأ المعلم برأسه إيجابًا وهو يتفرس ملامحه, ومن ثم اتجهت عيناه الصارمتان نحو أريج التي ابتلعت ريقها بصوت مسموع وهي تحاول تحاشي التقاء عينيها بذلك البحر الأزرق الصارم.. لقد نشأت في هذا المعبد يتيمة منذ وعت عيناها الدنيا, فلقد مات والداها في الحرب ضد بلعزبول الكبير, ولم تعرف في حياتها سوى الحكيمات اللاتي أشرفن على تربيتها, وعندما بلغت الثامنة من عمرها تم اختبارها كما تجري العادة في الجماعة, وتم اختيارها لتكون في فريق المعالجين الميداني لما أثبتته من مهارة واضحة في فنون العلاج, ورغم مهارتها في العلاج, فإنها أيضًا أثبتت مهارة ملحوظة في أساليب القتال, وبخاصة الأساليب الدفاعية منها وتغطية حالات الانسحاب من المعركة لو لاحت بشائر الهزيمة في الأفق.

والآن.. ها هي تقف في حضرة المعلم شاهين الأبيض.. وعليها أن تجيب عن سؤاله الآن كما فعل رفيقاها.. فهل هي مستعدة فعلا للتضحية بحياتها؟

- لم يبقَ سواكِ يا أريج.
قالها سليم وهو ينظر إليها, فالتفت إليه شاهين وهو يقول:
- اصمت أنت.
ابتلع سليم لسانه, وتوترت ملامحه وهو ينظر إلى موطئ قدميه, في حين نظر شاهين إلى أريج وهو يقول:
- هل أنتِ مستعدة أيتها المقاتلة أريج, أم أن علي البحث عن شخص آخر؟
شعرت أريج بتلك الانتفاضة تهز جسدها, فقالت على الفور:
- لن تجد شخصًا غيري أيها المعلم.. أجل.. أنا مستعدة لتقديم روحي من أجل شرف الجماعة والقتال في سبيل قضيتها ضد عالم الظلام.
للحظة لمح الثلاثة الارتياح على وجه المعلم, ولكن ملامحه سرعان ما استعادت جمودها الخالي من الانفعالات قبل أن يقول وهو ينهض من مكانه ويعقد ذراعيه وراء ظهره:
- هذا يحملني إلى النقطة الأكثر أهمية.. المهمة التي سيتم تكليفكم إياها من أجل الجماعة.
تعلقت به ثلاثة أزواج من العيون المترقبة وهو يقول متابعًا:
- لقد وقع اختياري عليكم من أجل خوض معركة أخيرة وحاسمة ضد أكثر أعدائنا قوة وشرًا.. سوف تقاتلون معي ضد أقوى أتباع بلعزبول الكبير.. ضد أقوى سفراء الجحيم السبعة.
وصمت للحظات قبل أن يقول وهو ينظر إلى ثلاثتهم:
- إنه أمير الظلام.. لوسيفر.
كان وقع المفاجأة عليهم قاسيًا.. وبشدة. لوسيفر أمير الظلام؟! أهو عدوهم في المهمة القادمة حقًّا؟! ولكن كيف يدفع بهم المعلم شاهين الأبيض في مواجهة كهذه وهم لم يقوموا بأي مهمة فعلية من قبل؟! هل يعتقد أن قوتهم قد توازي قوة أكثر سفراء الجحيم خطرًا وأكثرهم قربًا من بلعزبول الكبير؟! ما الذي يرمي إليه بالضبط؟! وهل المعلم الأكبر على علم بهذا

الأمر؟!
نظر إليهم شاهين قليلاً وكأنه يختبر وقع الخبر عليهم قبل أن يقول:
- لا داعي لهذه النظرات الهلعة.. أنتم مقاتلون في الجماعة.. ولقد أبدى كل واحد منكم استعداده للتضحية بحياته, أليس كذلك؟
تبادل الثلاثة نظرة متوترة قبل أن تقول أريج:
- بلى أيها المعلم, ولكن...
قال المعلم شاهين الأبيض يقاطعها:
- ما الذي تعرفونه عن لوسيفر؟
كان السؤال مفاجئًا للثلاثة, حتى إن ألسنتهم انعقدت لبعض الوقت قبل أن يهز سليم رأسه ويقول مجيبًا:
- حسن.. كل ما نعرفه هو أن لوسيفر أقوى عدو واجهته الجماعة منذ تأسيسها على يد المعلم صابر منذ قرون عدة.. واجه الكثيرين من مقاتليها في العديد من المعارك الطاحنة.. انتهى بعضها بانتصاره, وانتهى البعض الآخر بهزيمته.
ابتلع ريقه وهو ينظر إلى سعد الذي التقط منه طرف الحديث وهو يقول:
- لقد كان هدف لوسيفر هو العثور على المفتاح الأسود ليقدمه إلى سيده.. بلعزبول الكبير, ولكن مقاتلي الجماعة كانوا له دومًا بالمرصاد.. حتى أتيت أنت أيها المعلم وأصبحت العدو الأول للوسيفر, ونجحت منذ أيام في الوصول إلى صفوان الذي يملك معلومات أكيدة عن مكان وجود المفتاح وعدت به إلى المعبد, ليتلقى أمير الظلام أقسى هزيمة في حياته.
تنحنحت أريج قبل أن تقول:
- ولكن لا أحد يعرف ماهية المفتاح الأسود, ولماذا يسعى وراءه بلعزبول الكبير.
نظر إليهم المعلم شاهين في صمت قبل أن يزفر ويقول:
- ماهية المفتاح الأسود لا يعرفها الكثيرون يا أريج.. ولكن كل ما أستطيع

إخباركم به الآن هو أنه الوسيلة الوحيدة ليحصل بلعزبول على قوة رهيبة لا يتخيلها أي عقل على هذه الأرض. قوة ستمكنه من فرض الهيمنة الكاملة لعالم الظلام على جميع المخلوقات التي تعيش على الأرض.

ارتسمت الدهشة على وجهي سليم وسعد, في حين شهقت أريج قبل أن تقول وهي تضع يدها على صدرها:

- يا الهي! إلى هذا الحد أيها المعلم؟!

أومأ شاهين برأسه إيجابًا وهو يقول:

- هذا صحيح.

وصمت هنيهة قبل أن يقول وهو يسير نحو نافذة مخدعه وتتعلق عيناه بأستار الضباب المحيطة بقمة الجبل الأبيض:

- ما لا تعرفونه هو أن لوسيفر اقترب كثيرًا من تحقيق حلم سيده في المعركة الأخيرة بيننا.. لقد كانت معركة طاحنة.. إنه لم يعد العدو الذي اعتدت قتاله منذ سنوات طويلة, بل تحول إلى وحش كاسر يملك قوة تكاد توازي قوة سيده, ولكن القدر شاء أن أتمكن من النجاح في العودة إلى الجبل الأبيض ومعي صفوان، مما أثار غضب لوسيفر دون شك. وسوف يصنع المستحيل حتى يصل إلى مكان اختفاء المعبد واستعادة صفوان.

قالت أريج باستنكار:

- هذا مستحيل.. الجبل مخفي عن الأنظار منذ زمن طويل, ولا يمكن أن يصل إليه أي مخلوق إلا لو أراد المعلم الأكبر ومجلس الحكماء..

قال سليم يقاطعها والتوتر يطل من عينيه اللتين تعلقتا بوجه المعلم شاهين:

- ولكن هذا لم يعد الوضع الحالي, خصوصًا مع القوة الجديدة التي أصبح لوسيفر يملكها.. أليس كذلك أيها المعلم؟

نظر إليه المعلم شاهين وهو يهز رأسه إيجابًا قبل أن يقول:

- هذا صحيح. فعليًّا نحن أضعف من أن نواجه لوسيفر بقوته الحالية, ووصوله إلى المعبد مسألة وقت ليس إلا.

وقبل أن يقول أي منهم أي شيء تعليقًا على قوله سبقهم هو ليقول:
- في هذا الزمن على الأقل.
ضيق سليم عينيه, في حين بدت الحيرة على وجه سعد وأريج, وقال الأول:
- ما الذي تعنيه بهذا أيها المعلم؟
أخذ المعلم شاهين نفسًا عميقًا ملأ به صدره, وأخرجه في زفرة حارة قبل أن يقول ردًا على السؤال:
- إن الطريقة الوحيدة لقتال لوسيفر والقضاء عليه هي أن نحاربه في زمن آخر.. أو على وجه التحديد.. أزمان أخرى.. عصور غير العصر الذي نعيش فيه الآن.. عندما كان لوسيفر الذي أعرفه, واعتدت قتاله.. قبل أن يتحول إلى هذا الوحش الكاسر الآن.
قالت أريج بلهجة مذهولة:
- وهل هذا ممكن؟! هل يمكننا العودة إلى الماضي لقتاله؟!
لاح السؤال في عيني سعد وسليم, في حين قال المعلم شاهين مجيبًا:
- أجل.. هناك وسيلة للتنقل عبر الزمن توصل إليها أحد حكمائنا منذ سنوات, ولكن...
بتر عبارته وهو يسبل جفنيه, فقال سعد يستحثه:
- ولكن ماذا؟!
لم يجب المعلم شاهين.. وبدا لهم وكأنه تحول إلى تمثال من الحجر.. فقال سليم بلهجة تسللت إليها نبرة حادة:
- ولكن ماذا أيها المعلم؟
ابتلع سعد ريقه بصوت مسموع قبل أن يقول:
- أخبرنا.. أرجوك.
التفت إليهم المعلم وفتح عينيه وهو يقول مجيبًا بلهجة حزينة:
- لو قرر أي شخص السفر إلى الماضي.. فإنها ستكون رحلة ذات اتجاه واحد فقط.. أي أنه لن يتمكن من العودة إلى عصرنا هذا.. هذا ما لم يتوصل

الحكماء إلى حله بعد.
ولاذ بالصمت قليلاً قبل أن يقول:
- إنها الطريقة الوحيدة لقتال لوسيفر.. الطريقة الوحيدة التي قد تمكننا من القضاء عليه عندما كان أقل قوة مما هو الآن.. الأمل الوحيد الذي يجب أن نتمسك به في ألا يضع بلعزبول الكبير يده على المفتاح الأسود ويحرر القوة الغاشمة التي من شأنها تدمير عالمنا.. هذه هي مهمتكم.. لقد وقع اختياري عليكم لأنني أعرف أنكم الأفضل من بين الجيل الجديد.. أنتم تملكون قدرات لو اجتمعت معًا, فسوف تشكلون فريقًا رائعًا يمكنه الصمود أمام لوسيفر في هذه المعركة المصيرية.. ولكن بانطلاقكم في هذه الرحلة.. ستفقدون كل شيء عرفتموه هنا في المعبد.. كل شيء ألفتموه عليكم نسيانه للأبد.. لأنكم ستذهبون في رحلة بلا عودة.
هوى الصمت على المكان.. صمت رهيب.. وثقيل إلى أبعد الحدود.. صاعقة القدر تهوي فوق رءوسهم جميعًا.. أول مهمة لهم على الإطلاق ستكون رحلة عبر العصور لقتال عدو رهيب.. رحلة بلا عودة.. أي عودة على الإطلاق!
- وكيف سنعرف أننا نجحنا ما دمنا غير قادرين على العودة؟
قالتها أريج بلهجة ثابتة أدهشت المعلم, وكذلك أدهشت سعد وسليم, فقال الأول:
- لنضمن النجاح.. ستكون الوسيلة الوحيدة هي اصطياد لوسيفر في أحد العصور وقتله, وبهذا سينعدم وجوده في عصرنا هذا للأبد.
قال سعد:
- وهل من الممكن أن يكتشف لوسيفر ما سنحاول القيام به؟
مجيبًا قال المعلم:
- من المؤكد أن سيفعل.. لا أعرف كيف, ولكن بقوته الجديدة.. سوف يعرف عندما نحاول التخلص منه في عصر سبق وعاش فيه.
ولوح بيده وهو يكمل:

- ولأنه قد يقرر ملاحقتنا عبر العصور ليحاول منعنا.. قررت أن أصحبكم في هذه الرحلة.. سوف نكون فريقًا واحدًا في مواجهة أمير الظلام.. إما عالمنا ومستقبلنا.. وإما هو ومن ورائه عالم الظلام والدمار الأكيد لعالمنا المضيء.

وكانت كلمته الأخيرة بمثابة قنبلة الصمت التي تفجرت بينهم.. ذلك الصمت الذي لن يتمكن أي منهم أن يكسره أبدًا!

***

L3

-٤-

سرت في جسد سعد رجفة باردة وهو ينظر إلى انعكاس صورته في تلك المرآة المصقولة على حامل فضي, ورفع يده يتحسس زيه القتالي الذي يرتديه للمرة الأولى منذ انضمامه إلى فريق المقاتلين بالمعبد منذ كان في العاشرة من عمره. كان الزي قطعة واحدة أحاطت بجسده على نحو محكم, فبدا قوامه المتناسق, وانسدل شعره الطويل على كتفيه بلا نظام, وعند موضع القلب استقر شعار الجماعة الفضي.. الزهرة الثمانية البتلات وذلك الوهج الباهر المحيط بها, ومن حزامه تدلى سيف قصير له نصل شفاف, وزين مقبضه الشعار الفضي ذاته.

حانت منه التفاتة إلى ذلك المقعد المجاور له ليقع بصره على تلك العباءة الفضية المنسوجة من مادة جعلتها أشبه بمياه رقراقة, وابتلع ريقه بصوت مسموع قبل أن يقول:

- لقد تمنيت طويلاً أن أرتدي هذا الزي.. ولكن الآن.. هذه المهمة بلا عودة.. فلماذا أشعر بالخوف وأنا أنظر إلى صورتي في المرآة؟!

نطق الجزء الأخير من عبارته بلهجة مريرة, وسرت في جسده رجفة أخرى عندما سمع صوتًا ساخرًا يقول:

- يمكنك أن تتراجع يا عزيزي سعد.

التفت بحركة حادة ويده تمتد إلى مقبض سيفه القصير ليتألق نصله الشفاف ببريق أبيض خافت, والتقى حاجباه وهو يرى سعد جالسًا على حافة نافذة المخدع وقد ارتدى زيه القتالي وعباءته الفضية ليزداد وسامة على وسامته, وعلى شفتيه ارتسمت تلك الابتسامة الساخرة, في حين كانت أنامله تتحسس مقبض سيفه برفق.

- ما الذي تفعله هنا؟!

هتف بها سعد وهو يشد بقوة على مقبض سيفه ليزداد تألق النصل بذلك البريق الأبيض, فرفع سليم حاجبيه وهو يقول بدهشة مصطنعة:

- هل ترغب في قتالي حقًا يا سعد؟! نحن في فريق واحد.. أتذكر؟
ازداد انعقاد حاجبي سعد وهو يقول بلهجة حادة:
- ليس من حقك التسلل إلى مخدعي على هذا النحو يا سليم.
هازًّا كتفيه قال سليم وهو ينظر إلى السماء الداكنة التي بدأت تتلون بضوء الفجر الباهت عبر أستار الضباب:
- لم يعد مخدعك منذ هذه اللحظة يا عزيزي.
والتفت إلى سعد وقال وهو يستعيد لهجته وابتسامته الساخرتين:
- بالنظر إلى المهمة التي أسندت إلينا.. لقد ودعت مخدعي منذ قليل.
وأشار بيده إلى قيثارة سعد وهو يقول مضيفًا:
- عليك أن تودع هذه أيضًا, فلن تكون بحاجة إليها بعد الآن.
نظر سعد بارتياع إلى قيثارته, وتوترت كل ذرة في كيانه وهو يقول:
- مستحيل..
اعتدل سليم في جلسته على حافة النافذة وهو يقول:
- لا تقل لي إنك ستواجه لوسيفر بالألحان الرومانسية يا سعد!
نظر إليه سعد بغضب وهو يقول حاملاً قيثارته بين يديه:
- لا شأن لك بهذا الأمر. ولا داعي للتظاهر بالشجاعة أمامي على هذا النحو.
نظر إليه سليم قليلاً قبل أن يتنهد ويقول بلهجة جادة أدهشته:
- إنها محاولة بائسة لأخفي خوفي وقلقي مما نحن مقبلون عليه.
ارتفع حاجبا سعد في دهشة وهو يقول:
- الخوف؟! أنت؟!
ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتي سليم وهو يقول:
- ألست بشرًا من لحم ودم مثلك؟ وأحمل مشاعر في صدري حتى وإن كنت لا أهوى التعبير عنها كما تفعل أنت دوما؟
وهبط عن حافة النافذة واقترب من سعد, وقال وهو يربت كتفه بمودة:
- لا داعي لكل هذه الأحقاد التي تحملها ضدي يا صديقي.

توترت ملامح سعد وهو يقول باضطراب:
- عن أي أحقاد تتحدث, أنا لا...
قال سليم يقاطعه وابتسامة مودة ترتسم على شفتيه:
- لقد كنت تظن دومًا بأنني أقف حائلاً بينك وبين أريج بسبب تلك المشاعر التي تحملها لي, ولكن دعني أؤكد لك شيئًا مهما للغاية.
وتلاشت ابتسامته وهو يقول مردفًا:
- أنا لا أصلح أو أستحق حب فتاة رائعة مثل أريج, ولهذا لم أشأ أن أمنحها أي أمل.. لقد أردت ببرودي نحوها أن تتحول مشاعرها نحو الشخص الذي يحبها بحق.. أنت يا سعد.
لَمْ يَدْرِ لِمَ شعر سعد باضطراب شديد وحيرة يضربان كيانه بلا رحمة وهو ينظر إلى ملامح سليم, ولا لماذا شعر بالشفقة وهو يرى ملامح الصدق والحزن تطل من عينيه, و..
- لماذا تخبرني بهذا الآن؟
قالها سعد بصوت خافت, فتنهد سليم وقال وهو يتجه نحو نافذة المخدع:
- ربما لأنها المرة الأخير التي سنتحدث فيها على هذا النحو في المعبد.. نحن ذاهبون في مهمة قد لا نعود منها على الإطلاق.. ولهذا أردت أن أبين لك الحقيقة حتى لا أموت وأنت تحمل حقدًا تجاهي في قلبك.
وصمت هنيهة قبل أن يقول:
- يا صديقي.
وساد الصمت لبعض الوقت وقد تجمد كلاهما كتمثال. وأخيرًا قال سعد كاسرًا حاجز الصمت:
- سليم.. أنا..
قال سليم يقاطعه وهو يقفز برشاقة فوق حاجز النافذة:
- لا تقل شيئًا.. المعلم شاهين سينتظرنا عند بوابة المعبد الرئيسية لنتجه إلى نقطة الانتقال إلى الزمن الأول.. أراك بعد قليل هناك.. احزم أغراضك

واتبعني.

وقفز عبر النافذة وسار مبتعدًا بخطوات واسعة تاركًا سعد وراءه وقد ارتسمت الدهشة والحيرة معًا على وجهه!

***

الورقة الرابعة

عن برج بابل.. وكاهن العقارب

والأمير إيشارا

-١-

وحدك تملك قوة لا محدودة..

الشر مركزه قلبك الأسود..

الكراهية أصبحت ذرات تسبح في فضاء روحك المغلقة للأبد..

الدم.. الدم.. الدم..

يا سيد الظلام..

يا كاهن الموت..

يا رسول الشؤم ونذير الهلاك..

أجل..

إنه أنت.. فقط.. ولا أحد غيرك..

***

بدا المشهد مهيبًا عند بوابة المعبد الرئيسية في ذلك الوقت المبكر من الصباح, والسماء ما زالت تتشح بذلك الضوء الأزرق الباهت الذي يحاول اختراق أستار الضباب الكثيفة المحيطة بالجبل الأبيض على الدوام.

أمام البوابة المغلقة وقف المعلم شاهين الأبيض ووراءه وقف أفراد الفريق الثلاثة في زيهم القتالي الموحد, ومن حزام كل واحد منهم تدلى ذلك السيف القصير الذي تألق نصله ببريق أبيض باهت, وأمام شاهين وقف المعلم الأكبر الذي قال وهو يضع يده على كتف تلميذه المفضل وذراعه اليمنى, ونظرة حزينة تطل من عينيه:

- استودعك عناية الله يا شاهين.. كن على حذر يا بني.

شد شاهين قامته وقال بلهجة ثابتة لا تعرف الخوف أو التراجع:

- سوف نبذل قصارى جهدنا من أجل إنهاء المهمة بسرعة يا سيدي.

قال المعلم الأكبر يسأله بصوت خافت وهو ينظر إلى أفراد الفريق الثلاثة:

- هل أنت واثق من اختيارك لهؤلاء الشباب؟ أعني.. التقارير تؤكد أنهم ليسوا الأفضل بين شباب المقاتلين, وأن هذه المهمة هي الأولى لهم.

هازًّا رأسه إيجابًا قال المعلم الأكبر:
- ولكنهم الأصلح بين الجميع لهذه المهمة بالذات يا سيدي.. لقد درست جميع المقاتلين لدينا.. القدامى منهم والجدد.. صدقني.. لن تجد من يصلح لقتال لوسيفر عبر العصور إلا هؤلاء الثلاثة.
تأمل المعلم الأكبر ملامحه لبعض الوقت قبل أن يقول وهو يومئ برأسه:
- على كل حال.. أنا أثق باختياراتك دومًا.. على بركة الله.
وأخذ نفسًا عميقًا ملأ به صدره, وأخرجه في زفرة قوية قبل أن ينظر نحو الشبان الثلاثة وهو يقول بلهجة المعلم الصارمة التي شابتها لمحة أبوية لا يمكن أن تخطئها الأذن:
- إنه لشرف عظيم أن تعملوا تحت إمرة المعلم شاهين الأبيض في هذه المهمة.. ابذلوا قصارى جهدكم.. واعلموا أن مستقبل عالمنا بأسره يستقر بين أيديكم.
شعر الثلاثة برجفة عنيفة تسري في أجسادهم, ولكنهم قالوا في نفس واحد وصوت ثابت:
- حياتنا فداء عالمنا وأمنه أيها المعلم الأكبر.
هز المعلم الأكبر رأسه في رضا وهو يقول:
- أنا واثق من هذا.
ونظر إلى شاهين وقال يسأله:
- هل أنت مستعد للانتقال الآن؟
أومأ شاهين برأسه إيجابًا دون أن ينبس ببنت شفة, فتنهد المعلم الأكبر في حرارة وتراجع للوراء قليلاً قبل أن ينتزع خاتمه من وسطاه, ونظر للحظات إلى الشعار الفضي المحفور في منتصفه تمامًا قبل أن يضعه على الأرض ويتراجع بضع خطوات أخرى.
مر بعض الوقت من الصمت قبل أن تبدأ خيوط رفيعة من ضوء الشمس في التسلل عبر أستار الضباب, ولدهشة الشبان الثلاثة ما إن لامست هذه

الخيوط خاتم المعلم الأكبر حتى راح يتوهج ببطء في البداية بذلك البريق الفضي, وسرعان ما راح يتعاظم بسرعة حتى شعروا به يحتويهم في دوامة من الوهج الفضي, ومن حولهم ترددت مئات الأحاديث بلغات متعددة, بعضها بدا مألوفًا لهم, والبعض الآخر كان مجهولاً تمامًا, وظلت الأصوات تتابع بسرعة رهيبة لم تمكنهم من التقاط أي كلمات واضحة أو مفهومة, وبدهشة هتفت أريج:

- ما الذي يحدث؟!

ولكنها لم تتلق أي إجابة عن تساؤلها, ولم تكن تنتظر واحدًا في الحقيقة.

من حولهم راح الوهج يزداد حتى لم يعد أي منهم قادرًا على رؤية المعبد ولا المعلم الأكبر.. فقط تلك الدوامة الفضية المتوهجة, وتلك الأصوات المتتابعة بسرعة رهيبة.. وأمام عيونهم راحت فجوة سوداء تتجسد في جدار الوهج المحيط بهم, وسمعوا صوت المعلم شاهين واضحًا رغم الضوضاء المحيطة بهم:

- هيا بنا, فالجوة لن تبقى مفتوحة لزمن طويل.

وبخطوات واسعة سار نحو الفجوة السوداء, وتردد الثلاثة للحظة واحدة قبل أن يتبعوه بذات الخطوات الواسعة.. وأمامهم اخترق المعلم شاهين الفجوة السوداء التي ابتلعته تمامًا, وأطرافها تتوهج بذلك البريق الفضي, ومن حولهم ارتفعت أصوات غاضبة, وراحت خيالات سوداء تتشكل في قلب الوهج, وسمعوا صوت المعلم وكأنه آتٍ من قرار سحيق:

- أسرعوا بالعبور وإلا هلكتم جميعا.

للحظة بقي الثلاثة مسمَّرين أمام الفجوة السوداء التي راحت تضيق بسرعة. للحظة تجسدت أمامهم حياتهم بالمعبد منذ الطفولة. ذكريات عديدة تراءت لهم في هذه اللحظة الحاسمة.. لحظة بدت بالنسبة لهم تساوي الحياة بأسرها.. لحظة الرحيل.. لحظة اللاعودة, و..

- هيا بنا.

هتفت بها أريج وهي تمسك بيدي رفيقيها ويندفع الثلاثة نحو الفجوة ويخترقونها في وقت واحد للتوهج للمرة الأخيرة بذلك الوهج الفضي, و..
وتلاشى كل شيء كما بدأ. بدا المعبد بصمته.. وخاتم المعلم الأكبر يتراقص على الأرض.. وهذا الأخير واقف ينظر إليه بعينين متسعتين.. وفي الأعالي.. راحت السماء تواصل تلونها بضوء الشمس الذي لم يتمكن من اختراق أستار الضباب أكثر من هذا!

***

-٢-

تغطى كل شيء بثلوج بيضاء كثيفة.. الأرض.. الأشجار العالية التي ناءت أغصانها وتدلت بسبب الثلوج الكثيفة المتراكمة فوقها منذ وقت طويل, وعوت الرياح الباردة على نحو بدا وكأنه عواء ألف ذئب جائع. وفي السماء بدا قرص القمر متألقًا بضوئه الفضي البارد, وقد بهت من حوله بريق النجوم. حول حفرة في الثلج تراقصت فيها النيران بدت أجساد أربعة أشخاص, ثلاثة جلسوا حول النار يطلبون دفئها, في حين رقد الرابع على الأرض في حالة تأرجحت بين الوعي واللاوعي.

- أين نحن بالضبط أيها المعلم؟

قالتها أريج بصوت مرتجف وأنفاسها تتكاثف أمام وجهها على نحو اتسعت له عيناها, فقال المعلم شاهين وهو ينظر إلى الطريق القريب منهم:

- نحن على الطريق المؤدي إلى مدينة بابل.

قال سليم وهو يعقد حاجبيه ويفرك كفيه بقوة:

- بابل؟! وهل لوسيفر موجود هناك الآن؟!

مجيبًا قال المعلم وهو ينهض وينفض الثلوج عن ثيابه:

- في طريقه إلى هناك دون شك.. كل ما علينا هو الانتظار.

تبادلت أريج نظرة متوترة مع سليم قبل أن تشير إلى سعد وهي تقول:

- وماذا عن سعد؟! ما الذي أصابه يا ترى؟!

التفت المعلم شاهين إلى سعد الذي بدا الإعياء الشديد على ملامحه, زفر بقوة قبل أن يقول وهو يعاود التطلع إلى الطريق:

- لا داعي للقلق. سوف يكون على ما يرام.. جسده لم يحتمل عبور البوابة الزمنية.

قالت أريج برهبة:

- البوابة الزمنية!

قال سليم بعد أن ابتلع ريقه بصعوبة:

- أتقصد تلك الفجوة السوداء أيها المعلم؟
هازًّا رأسه إيجابًا قال المعلم شاهين:
- هذا صحيح. لقد كانت قوة الدفع عبر البوابة قاسية على جسده, ولهذا يشعر بالإعياء الشديد.
قال سعد بصوت واهن وهو يحاول الاعتدال:
- أنا.. بخير.
نظر إليه المعلم شاهين وقال وابتسامة باهتة ترتسم على شفتيه:
- أنت فعلاً بخير. سوف يزول الإعياء بعد ساعات قليلة, وستجد نفسك استعدت عافيتك من جديد.
ساد الصمت بعد عبارته بعض الوقت قبل أن تقول أريج:
- ألا يشعر أحدكم بالجوع؟
قالتها وهي تتناول حقيبة أغراضها, ورسمت ابتسامة متوترة على شفتيها وهي تكمل:
- لقد أعدت ليلى بعض الطعام على عجل.
توترت ملامح سعد عندما ذكر اسم شقيقته الوحيدة, وشعر بوخزة مؤلمة في قلبه, وشعر بسائل دافئ في عينيه, فأغلقهما وفتحهما عدة مرات قبل أن تهزمه دموعه تأثرًا على فقد شقيقته, وأنه قد لا يتمكن من رؤيتها مرة أخرى.
- أجل.. أنا جائع بالفعل.
قالها سليم وهو يختلس النظر إلى سعد, وعلى الفور بدأت أريج في إخراج الطعام, وقالت وهي تنظر إلى المعلم:
- ألست جائعًا أيها...
قاطعها المعلم شاهين بإشارة من يده وهو يقول:
- اصمتوا.
وعلى الفور استدار وتناول كومة من الثلج وألقاها على النيران المتراقصة في

الحفرة ليتصاعد صوت الهسيس وقد انطفأت النار, فقالت أريج معترضة:
- لماذا أيها المعلم...؟
قاطعها المعلم بلهجة صارمة:
- كفى.. إن عدونا سيظهر على الطريق في أي لحظة الآن.
شحذت عبارته حواسهم, وامتدت الأيدي نحو مقابض السيوف لتتألق نصالها بذلك البريق الخافت, فقال المعلم بلهجة محذرة:
- كلا.. لا قتال الآن.
تراجعت أيديهم على الفور, ونهضت أريج وسليم ليقفا إلى جانبي المعلم وعيونهم معلقة بالطريق البادي من بين الأشجار القريبة من بعضها, ومر وقت ليس بالقصير قبل أن يتناهى إليهم صوت صهيل خيل, وأصوات أقدام ثقيلة تدوس على الثلج القاسي.
عند بداية الطريق المؤدي إلى مدينة بابل ظهر ذلك الموكب الذي أثارت رؤيته الرجفة في أجساد ثلاثتهم!
مجموعة من الرجال يرتدون ثيابًا سوداء من الصوف الثقيل اتقاءً للبرد القاسي, وعلى أكتافهم استقرت محفة خشبية كبيرة ظهر عليها تمثال لعقرب ضخم ذي ذنب مشرع وكأنه يستعد للانقضاض وبث السم, وأمام المحفة وعلى صهوة جواد أسود قوي بدا رجل ممشوق القوام, قوي البنيان, ولكن ملامحه لم تكن واضحة لأعينهم, وعلى الفور لاحظة الثلاثة التوتر الذي ارتسم على ملامح المعلم شاهين.
راح الموكب يقترب من مكانهم بين الأشجار حتى لاحت ملامح الرجال القاسية, ورءوسهم الحليقة, وبدا التمثال مرعبًا من هذه المسافة القصيرة وقد انسدل عليه ستار أسود من الحرير, ولكن أكثر ما جعل أجسادهم ترتجف هو ملامح الرجل على صهوة الجواد الأسود!
ملامح مخيفة ومثيرة للانتباه في الوقت ذاته؛ ذلك الوجه النحيل الذي برزت عظام وجنتيه. الشحوب وكأنه مات منذ فترة. العينان الرماديتان في عمقهما

تلك النيران المتأججة. الثياب السوداء على نحو يختلف عن ثياب باقي الموكب العجيب. سواد بدا وكأنه قطعة انفصلت من ثوب الليل المُدْلَهِمّ. وأخيرًا تلك القلادة الذهبية حول عنقه وفي منتصفها ماسة حمراء متألقة وكأنها كتلة من الدماء الحية.

- ما هذا الموكب أيها المعلم؟!

مجيبًا قال المعلم شاهين:

- إنه موكب كهنة العقارب في طريقه للقاء الأمير إيشارا حاكم بابل الأوحد.

قال سليم وهو يشير بسبابة مرتجفة نحو الرجل أمام المحفة:

- وهذا الرجل.. هو...

بتر عبارته وهو يبتلع ريقه بتوتر, فأومأ المعلم برأسه إيجابًا وهو يقول بصوت منفعل:

- إنه هو.. لوسيفر.. أمير الظلام.. ولكن قبل أن يحمل هذا اللقب.

وصمت هنيهة قبل أن يقول وهو يلتفت إليهم:

- هيا بنا.. لا بُدَّ أن نصل إلى بابل قبل الموكب.

قالت أريج وهي تنظر إلى سعد:

- ولكن سعد! هل سيتمكن من مواصلة السير؟!

قال سعد وهو يتحامل على نفسه لينهض:

- لا داعي للقلق يا أريج. أنا بخير أيها المعلم.

نقل المعلم شاهين بصره بين ثلاثتهم قبل أن يهز رأسه إيجابًا وهو يقول:

- حسن. سوف نسلك طريقًا مختصرًا يقودنا إلى بابل قبل موكب العقارب هذا.

***

-٣-

بدأت الثلوج في الانهمار لتزيد من كثافة الطبقة الثلجية التي تغطي كل شيء, وعوت الرياح بقوة أشد, وفوق عوائها تردد عواء ذئاب حقيقية جائعة خرجت تبحث عن طعام يسد جوعها وجوع صغارها في هذا الشتاء الرهيب, وتلبدت السماء بغيوم داكنة زادت من كآبة الجو العام.

- ولكن من هم كهنة العقارب أيها المعلم؟ وما الذي سيفعلونه في بابل؟

قالها سليم وهو يسير وإلى جانبه سعد مستندًا إليه وقد بدا الشحوب على ملامحه, ورغم هذا بدا منتبهًا عندما قال المعلم وهو يسير في المقدمة عبر طريق توارى بين الأشجار, وعن يمينه نهر متجمد:

- إنهم جماعة دينية ظهرت في البلاد منذ عهد الأمير آشور جد الأمير إيشارا منذ أكثر من خمسين عامًا.

وصمت هنيهة قبل أن يقول مكملاً:

- لقد ظهرت الجماعة عندما تم تنصيب الأمير آشور حاكمًا على المدينة وإعلانها مستقلة عن باقي المدن المحيطة بها, وبخاصة مع تضاؤل سلطان الآشورين, الذي كان الأمير آشور أحد ولاتهم في ذروة قوتهم وسطوتهم. لا أحد يعرف من أين أتت هذه الجماعة, ولكن أفرادها أتقنوا فنون السحر الأسود, ونجحوا في السيطرة على عقل الأمير آشور, بل إن الأقاويل تتردد في كل مكان في الخفاء بأنهم أقنعوه أن يعلن نفسه أميرًا أوحد لبابل, ووعدوه بالنصرة والتأييد إن هو بنى لهم معبدًا في المكان الذي يحدودنه له.

قالت أريج تسأله:

- وهل فعل الأمير آشور ما طلبه منه كهنة العقارب؟

مجيبًا قال المعلم شاهين:

- أجل. لقد بنى لهم المعبد عند سفح جبل ليس ببعيد عن المدينة, وعندما فعل أعلن نفسه مستقلاً عن الإمبراطورية الآشورية، أيَّده كبير كهنة العقارب, وتحولت بابل إلى أقوى مدن بلاد النهرين على الإطلاق, وصار

الجميع يخشاهم ويقدم لهم فروض الاحترام والتبجيل, حتى جلس الأمير فاراد على عرش المدينة, فقام بطردهم ونفيهم وراء أسوار معبدهم. مرت سنوات من الجدب والقحط على بابل, وكادت مياه النهرين تجف تمامًا, وعلى الرغم من توسلات كبار رجال القصر أن يعيدهم الأمير فاراد، فإنه أصم أذنيه, وأصر على أن ما يحدث لبابل هو لعنة من آلهة الأجداد لأنهم تخلوا عنها لأجل ديانة العقارب.

لاذ بالصمت لبعض الوقت يلتقط أنفاسه قبل أن يقول متابعًا:

- حتى جاء اليوم الذي عثر عليه مقتولاً في فراشه بسبب لدغة عقرب أسود. وعندما جلس الأمير إيشارا على العرش قرر أن يعيد كهنة العقارب إلى المدينة مرة أخرى, وما إن فعل حتى عادت بابل إلى سابق ازدهارها, وقوتها, وأتم الأمير إيشارا بناء برج بابل الذي بدأه جده الأمير آشور, وكان والده الأمير فاراد قد أمر بعدم إكماله. وتحولت بابل إلى قبلة يقصدها الناس من كل مكان ليشاهدوا عزها وقوتها, وعجيب بناء برجها الرائع وحدائقها المعلقة.

ساد الصمت لبعض الوقت, ولم يعد مسموعًا إلا صوت أنفاسهم اللاهثة, وصوت وقع أقدامهم وهي تسحق طبقات الثلج, قبل أن يقول سليم كاسرًا الصمت:

- وما الذي يفعله لوسيفر مع هذه الجماعة يا ترى؟

زفر المعلم شاهين بقوة قبل أن يقول:

- في هذا الزمن لم يكن لوسيفر قد التقى بلعزبول سيد عالم الظلام بعد, ورغم هذا لم يكن شخصًا عاديًّا. لا أحد يعرف من أين أتى, ولكن أتى ظهوره مع موت الأمير فاراد وتنصيب إيشارا أميرًا على عرش بابل, وهو من أتم بناء البرج, وتم اختياره الكاهن الأكبر للجماعة.

قالت أريج تسأله بفضول:

- وهل هو قوي حقًّا في هذا الزمن أيها المعلم؟ وهل سيكون من السهل هزيمته هنا؟

عقد المعلم شاهين حاجبيه وهو يقول ردًا على سؤالها:
- منذ عرفت لوسيفر لم يكن بالشخص الضعيف على الإطلاق, ولا تنسوا أنني أخبرتكم بأن جماعة العقارب تمارس فنون السحر الأسود, فلو حدث بيننا وبين لوسيفر قتال فسنجد كهنة العقارب والأمير إيشارا ومن ورائه جيش بابل عدوًّا لنا يحول دون اقتناص لوسيفر.
وتوقف عن السير والتفت إليهم وهو يقول:
- ولا تنسوا أن لوسيفر قد يشعر بمحاولتنا هذه في زمننا الذي أتينا منه, فلو قرر القدوم إلى هنا ستكون معركة رهيبة إلى أقصى حد يمكنكم تخيله. لا أريدكم أن تستهينوا بالعدو أبدًا, وكونوا دومًا متوقعين الأسوأ حتى تتمكنوا من مواجهته إذا أتى فعلا.. سلاحكم الأقوى في هذه المعركة ليس فيما تملكونه من أسلحة وقدارت قتالية متفوقة, ولكن في حسن استخدامكم لهذا.
نطق كلمته الأخيرة وهو يشير إلى رأسه, ونظرة صارمة تطل من عينيه أثارت الرهبة في نفوس الثلاثة, فهزوا رءوسهم إيجابًا وقالوا بنفس واحد:
- بالتأكيد أيها المعلم.
أومأ المعلم شاهين برأسه إيجابًا قبل أن يقول وهو يعاود السير:
- لقد أردت أن نصل إلى المدينة قبل لوسيفر وكهنة العقارب حتى نتمكن من دراسة أرض المعركة جيدًا, واختيار الوقت المناسب للهجوم.. واعلموا أن أي محاولة فاشلة ستعني موتنا جميعًا, وضياع الفرصة الوحيدة الباقية لعالمنا في النجاة.. والى الأبد.

***

-٤-

- هل أنت واثق بأن المعبد يوجد في هذا المكان؟!

بدا المشهد مخيفا بحق من فوق تلك القمة الجبلية المكسوة بالثلوج, وقد أحاط بها الضباب على نحو مهيب, وبدت السماء شديدة السواد, رغم تلك النجوم المتناثرة على صفحتها الملبدة بغيوم رمادية.

على القمة وقف الرجلان.. أحدهما قصير القامة نوعًا ما, قوي البنيان, يرتدي ثيابًا رمادية, ويعقص شعره الأسود الطويل في شكل ذيل حصان بلغ منتصف ظهره, أما الآخر فلم يكن سوى العدو اللدود.. بثيابه السوداء المحكمة حول جسده, وتلك العينين الرماديتين والنيران المتأججة في أعمق أعماقهما.. أمير الظلام.. لوسيفر.. أقوى سفراء الجحيم السبعة.

- ألا تثق بي حقًّا يا مولاي لوسيفر؟!

قالها القصير بصوت خانع وهو يفرك كفيه معًا, فنظر إليه لوسيفر بعينين باردتين وهو يقول بصوته العميق:

- أنا لا أثق في الخونة أبدًا.. لقد قررت خيانة من أسبغوا عليك حمايتهم منذ سنوات طويلة.

عقد القصير حاجبين كَثَّين وهو يقول:

- لم تكن حمايتهم دون مقابل قط.

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتي لوسيفر وقال وهو ينظر إلى القصير في عينيه مباشرة:

- وما الذي طلبه المعبد مقابل حماية قومك يا فتى؟

ابتلع القصير ريقه بصعوبة قبل أن يقول مجيبًا:

- لقد.. لقد...

قال لوسيفر يقاطعه وابتسامته تتسع:

- لقد عمل الكثير من قومك خدمًا في المعبد, أليس كذلك؟

اتسعت عينا القصير عن آخرهما وهو يقول بصوت ذاهل:

- وكيف.. كيف عرفت هذا الأمر؟!
قال لوسيفر وابتسامته تتلاشى, ووهج مخيف يطل من عينيه:
- هل تظن أن لوسيفر.. أمير الظلام.. قد يخفى عليه أمر كهذا؟!
تراجع القصير للوراء بضع خطوات, وابتلع ريقه مرة أخرى ليشعر بجفاف حلقه:
- ولماذا لم تتمكن من تحديد مكان المعبد من قبل؟ لولاي لما توصلت إلى هذا المكان أبدًا!
عادت تلك الابتسامة تتراقص على شفتي لوسيفر وهو يقول بلهجة ساخرة:
- هل تظن هذا حقًّا؟
شعر القصير بكل ذرة في كيانه ترتجف فرقًا وهو ينظر إلى هاتين العينين المخيفتين, وقال وهو يواصل التراجع:
- ما الذي تقصده؟ لقد جئت بك إلى هنا.. أنت لم تكن تعرف مكان اختفاء المعبد...
قال لوسيفر يقاطعه:
- أيها الأحمق.. لقد عرفت هذا المكان قبل أن تأتي إلي خائنًا تبيع من قدم الكثير لقومك البائسين لسنوات طويلة.. لقد صحبتك إلى هنا لأنني أردت أن أعبث بك وحسب.
وصمت هنيهة قبل أن يقول وعيناه تواصلان التوهج:
- من أنت أيها البائس لتظن نفسك قادرًا على تقديم أي مساعدة للوسيفر؟ أنت مجرد حشرة تدوسها الأقدام.. أنت تنتمي إلى جنس من العبيد كل ما يعرفونه في الحياة هو خدمة الآخرين و...
بتر عبارته فجأة, والتفت بكل كيانه إلى اليمين عندما توهجت السماء ببريق أبيض باهر أحاط بإحدى القمم الجبلية القريبة من القمة التي وقف عليها مع القصير, والتقى حاجباه في تقطيبة عميقة زادت ملامحه خوفًا ورعبًا، حتى إن القصير بال على نفسه وهو يلعن نفسه ألف مرة على قراره

بالذهاب إلى لوسيفر.

- هذا البريق! هل من الممكن؟!

قالها لوسيفر بصوت مخيف جعل القصير يجثو على ركبيته وهو يقول بصوت باكٍ:

- الر... الرحمة يا مولاي.

نظر إليه لوسيفر وهو يقول:

- اصمت.

كاد القصير يبتلع لسانه وهو يترك العنان لدموعه لتسيل على وجهه. أما لوسيفر فقد شعر ببركان من الغضب يغلي في أعماقه.. بركان كاد يتفجر ويصب حممًا ملتهبة على كل شيء حوله.. هذا البريق لا يعني سوى شيء واحد فقط..

لقد أدرك شاهين الأبيض أنه سيتوصل إلى مكان المعبد، وبالتالي مخبأ صفوان عاجلاً أم آجلا.. المواجهة الأخيرة بينهما كانت حاسمة, وعنيفة إلى أقصى حد ممكن. لقد تفوق للمرة الأولى على خصمه العنيد منذ قرون عديدة, ونجح في إصابته على نحو بالغ.. ربما لم تكن الإصابة خارجية, ولكنه واثق من نتيجة المعركة الأخيرة.

شاهين الأبيض لم يعد أمامه الكثير من الوقت ليعيش.. وما دام الأمر قد وصل إلى هذا الحد فإنه دون شك سيلجأ إلى نقل ميدان المعركة إلى مكان آخر.. أو على وجه الدقة.. عصر آخر.. أو عصور أخرى!

ضم لوسيفر قبضته بقوة مخيفة, وارتسم الغضب على كل شبر من ملامحه, حتى إن القصير فقد وعيه ليسقط على وجهه, ولكن لوسيفر تجاهله وهو ينظر إلى تلك القمة التي ينبعث منها الوهج الأبيض..

- تبًا.. تبًّا.. تبًّا.

ها هو قد أصبح قريبًا من معبد جماعة النور بعد أن عجز عن الوصول إليه ردحًا طويلا من الزمن.

ها هو قد أصبح قريبًا ولأول مرة في حياته من المفتاح الأسود.. من أسباب القوة الحقيقية التي بحث عنها بنهم في سنوات حياته الطويلة..

ولكن حتى لو هاجم المعبد.. وحتى لو نجح في الوصول إلى مكان المفتاح الأسود.. فلو نجح شاهين فيما غادر لأجله هذا الزمن, فسوف يتلاشى وجوده من الحياة.. وإلى الأبد.. وهو لا يمكن أن يسمح بحدوث هذا الأمر.. لا يمكن أبدًا.

لا بُدَّ أن ينتظر الهجوم على المعبد.. حياته ووجوده على المحك الآن.. ولا بُدَّ أن يتحرك سريعًا قبل فوات الآوان..

- سايا..

هتف بالاسم بصوت مخيف, وعلى الفور تجسدت أمامه دوامة من دخان أسود راحت تتخذ شكلاً بشريًا, وأمامه انحنت فتاة حسناء وهي تقول بصوت ناعم:

- مولاي لوسيفر.

تأمل لوسيفر ملامحها للحظات قبل أن يقول وهو يدير بصره إلى الوهج الذي راح يخفت بسرعة:

- لقد فعلها شاهين واستخدم إحدى بوابات الانتقال الزمني.. تتبعي الوهج حالاً.. أريد أن أعرف إلى أي زمن ذهب.

رفعت سايا عينين سوداوين كليلة بلا قمر نحو الوهج وهي تقول:

- السمع والطاعة يا مولاي لوسيفر.

وعلى الفور عادت تتحول إلى تلك الدوامة من الدخان الأسود وتنطلق بسرعة رهيبة باتجاه الوهج تاركة لوسيفر على القمة ينظر بعينين مشتعلتين إلى الوهج الأبيض وقد راح يتلاشى.. وبلهجة حملت كل حقده وغضبه قال:

- لقد أردتها حربًا شاملة يا شاهين.. ليكن.. سوف أمزقك وأسحقك, وسأعود بعدها لأدك المعبد فوق رءوس من فيه.. سوف أنتصر في النهاية.. أنا فقط.. أنا أمير الظلاااااااام.

-٥-

بعد ساعة أو أكثر من السير فوق الثلوج الكثيفة, ومن حولهم عواء الرياح الباردة لاحت لهم أسوار مدينة بابل العالية وقد اشتعلت فوقها المشاعل لتمنحها مظهرًا مهيبًا أثار الرجفة في أجسادهم, وقال المعلم وهو يشير إلى الجهة الجنوبية من الأسوار:

- سوف نتجه إلى هذه البقعة من الأسوار.

تبعه الثلاثة في صمت سببه الإعياء والبرودة القارسة, التي لم يكن لها أي تأثير على المعلم شاهين كما بدا لهم واضحًا منذ انتقالهم إلى هذا العصر.

أمام جزء من الأسـوار نمت بالقرب منه العديد من الأشجار المتشابكة والمتقاربة على نحو يصعب عبوره توقف المعلم وهو يقول:

- هنا.

نظر الثلاثة باستغراب إلى تلك الغابة الصغيرة من الأشجار التي نمت بجوار السور, وقالت أريج بحيرة:

- ولكن.. لا توجد بوابة يمكننا أن نعبر منها إلى المدينة في هذا المكان أيها المعلم!

مجيبًا قال المعلم شاهين:

- خلف هذه الأشجار الكثيفة توجد بوابة قديمة للغاية تعود إلى أيام سيطرة الآشوريين على المدينة, وقبل أن يعلن الأمير آشور استقلالها كدولة لها كيانها الخاص. ولقد نمت هذه الأشجار بمرور السنوات الطويلة, ونسي الجميع أمر تلك البوابة. ستكون وسيلتنا لدخول المدينة دون أن نجذب انتباه جنود الأمير إيشارا.

قال سعد وهو يعقد حاجبيه, وقد بدا أنه استعاد جزءًا كبيرًا من عافيته بعد ذلك الإعياء الذي أصابه بعد عبور البوابة الزمنية:

- وهل من الممكن عبور هذه الأشجار المتشابكة لنصل إلى تلك البوابة؟!

التفت إليهم المعلم وقال وابتسامة تلوح على شفتيه:

- وهذا هو ما جعلها بوابة منسية مع مرور الزمن, فمن ينظر إلى هذه الغابة الصغيرة من الأشجار سيقسم باستحالة وجود بوابة وراءها.

وتلاشت ابتسامته وقال وهو يبدأ السير نحو الأشجار:

- اتبعوني.

ولدهشة الثلاثة وجدوا أنفسهم يسيرون وراءه في ممر ضيق للغاية بين صفوف الأشجار المتقاربة بدا وكأنه مخفي بعناية شديدة, وساعدت الثلوج في توفير مزيد من الإخفاء له, ونما السؤال في عقول ثلاثتهم, وفي وقت واحد تقريبًا:

كيف يعرف المعلم شاهين كل هذه الأمور يا ترى؟! إنه يتصرف بثقة تامة, وكأنه عاش في هذا الزمن من قبل!

ولكن.. المعلم لا يبدو عجوزًا إلى هذا الحد بأي حال من الأحوال.. إنه يبدو لهم في منتصف العقد السادس من عمره وحسب.. فكيف يعرف كل هذه الأمور يا ترى؟! ما الذي يخفيه عنهم؟! من يكون المعلم شاهين الأبيض بحق؟!

- ها هي البوابة.

قالها المعلم لينتزعهم من تساؤلاتهم وأفكارهم المحيرة, فنظر الثلاثة إلى حيث أشارت سبابته، إلى بوابة خشبية قديمة بدت عليها التشققات في أكثر من موضع, وفي منتصفها بدت قبضة حديدية, ومزلاج معدني صدئ.

بيديه معًا قام المعلم بدفع البوابة بعد أن أزاح المزلاج الصدئ, واحتقنت ملامحه وهو يجاهد لدفع البوابة, فاندفع سعد وسليم وقاما بدفع البوابة معه حتى تحركت للداخل مصدرة صوت صرير بعث القشعريرة في أجسادهم.

كان الداخل مظلمًا, ولكن على ضوء القمر المتسلل عبر البوابة المفتوحة بدا لهم المكان قاعة واسعة تناثر بها بعض الأثاث المهشَّم, وتشبعت أركانه بخيوط العنكبوت وأكوام من الغبار, وعبِق المكان برائحة رطوبة قوية

ممتزجة برائحة عفونة خفيفة.
- ما هذا المكان؟!
قالتها أريج وهي تخطو بحذر إلى القاعة وعيناها تجولان في المكان من حولها, فقال المعلم شاهين وهو ينفض يديه:
- إنه مكان قديم كان يستخدمه حراس الآشوريين عندما تكون نوبة حراستهم عند هذا الجزء من الأسوار.
قالها وتقدم نحو صندوق خشبي في أحد الأركان نفض الغبار من فوقه قبل أن يفتحه ليهز رأسه في رضا وهو يقول:
- هذا عظيم.. هناك ثياب تصلح للاستخدام.
وتناول عباءة ذات لون أحمر داكن وقال وهو يضعها حول جسده:
- ارتدوها فوق ثيابكم القتالية, فمن المستحيل أن تتجولوا في طرقات بابل بهذه الثياب.. هيا ولا تقفوا هكذا تحدقون بي.
ارتدى الثلاثة عباءات فوق ثيابهم, وقال المعلم شاهين بعد أن انتهوا:
- هيا بنا. سوف نغادر المكان عبر هذا الممر. سوف يقودنا إلى الجزء الجنوبي من المدينة حيث الحي الذي يعيش فيه صغار التجار والصناع. سوف نجد مكانًا آمنًا يكون مقرًّا لنا طوال فترة وجودنا في هذا الزمن.
لم تمضِ دقائق على كلماته الأخيرة حتى كان الثلاثة قد خرجوا للهواء البارد إلى حيث وقعت أعينهم على العديد من المنازل المبنية بجوار بعضها البعض دون أي نظام, وعبِق الجو هذه المرة بروائح متعددة.. بخور.. طعام.. أخشاب تحترق.. كل هذه الروائح امتزجت معًا لتشكل رائحة فريدة ومميزة.
كان كل شيء هادئًا للغاية, ولم يظهر أي أثر لأي شخص في هذا الجو البارد, وهذه الثلوج الكثيفة التي غطت كل شيء, وعبر الطرقات الخالية تمامًا قادهم المعلم شاهين حتى بلغوا منزلاً مكونًا من طابقين, له بوابة منقوشة برسوم غائرة على نحو بديع جعلها متنافرة مع الجو العام للمكان, ولدهشتهم دفع المعلم الباب ودلف إلى المكان وهو يقول:

- هيا.

تبعه الثلاثة ليغلق سعد الباب ويحتويهم الظلام لبعض الوقت قبل أن يقوم المعلم بإضاءة مصباح صغير بعث في المكان ضوءًا خافتًا, وقال وهو يرفعه قليلاً:

- لن نتمكن من إشعال أي نار في المدفأة حتى لا يشعر أحد بوجودنا.

تبادل الثلاثة نظرة متوترة قبل أن يقول سليم متسائلاً:

- ما هذا المكان أيها المعلم؟!

ببساطة قال المعلم مجيبًا:

- إنه منزل قديم لا يسكنه أحد. سوف يكون مكانًا آمنًا حتى ننهي مهمتنا.

قالت أريج تسأله:

- وكيف عرفت بأمره أيها المعلم؟ لقد بدوت واثقًا منذ وصلنا هذا الزمن.. تعرف كل شيء.. تتحرك وكأنك.. وكأنك..

بترت عبارتها وقد احمر وجهها خجلاً, فنظر إليها سعد للحظة قبل أن يقول وهو ينظر إلى المعلم:

- وكأنك أتيت إلى هذا الزمن من قبل.

نظر إليهم المعلم قليلاً قبل أن يقول وهو يتجه نحو باب المنزل بعد أن وضع المصباح على نضد قريب غطاه الغبار:

- انتظروني هنا.

قال سليم يسأله بدهشة:

- إلى أين تذهب أيها المعلم؟!

مجيبًا قال المعلم شاهين:

- لجمع المعلومات.. سوف نحتاج إليها قبل أن نبدأ تحركنا ضد لوسيفر.

وغادر المكان مغلقًا الباب وراءه, وظل الثلاثة ينظرون إليه لبعض الوقت والأفكار تعصف برءوسهم.. وفي أعمق أعماق كل واحد منهم ترسخت حقيقة واحدة لا تقبل الجدل أو النقاش؛ المعلم شاهين الأبيض يخفي عنهم

شيئًا بالتأكيد.

***

-٦-

- هل يفهم أحدكم ما يحدث هنا؟!

ضوء الشمس الدافئ يتسلل عبر شقوق متنشرة في تلك النافذة ملقيًا إضاءات خافتة على طبقات الغبار التي تغطي كل شيء في ذلك المنزل, وبدت ظلال ثلاثة أشخاص جالسين على مقاعد خشبية متهالكة.

- هناك شيء ما غير مفهوم هنا.

قالتها أريج وهي تعتدل في جلستها, فنظر إليها سعد والحيرة تطل من عينيه, في حين قال سليم:

- المعلم شاهين يخفي عنا أمرًا.. هذا شيء أكيد.

ابتلع سعد ريقه بصوت مسموع قبل أن يقول:

- ولكن...

قالت أريج تقاطعه:

- ألم ترَ كيف يتصرف المعلم منذ قدومنا إلى هذا المكان؟! إنه يتصرف وكأنه يعرف الكثير من الأمور.. إنه يبدو وكأنها ليست المرة الأولى التي يأتي فيها إلى هذا الزمن!

اتسعت عينا سعد بدهشة وهو يقول:

- ولكن تذكري ما قاله لنا المعلم في المعبد يا أريج.. الانتقال عبر العصور ليس آمنًا, وهو طريق في اتجاه واحد فقط.

قالت أريج بعصبية:

- وهل تعتقد أنه أخبرنا بالحقيقة كاملة عن هذا الانتقال؟

عقد سليم حاجبيه وهو يقول:

- أتريدين القول بأن المعلم شاهين الأبيض خدعنا؟!

هازًّا رأسه بقوة قال سعد:

- هذا مستحيل.

زفرت أريج بقوة قبل أن تقول وهي تلوِّح بيدها:

- ليس هذا ما عنيته بالتأكيد.. ولكنه لم يخبرنا بالحقيقة كاملة.. لقد عاش المعلم في هذا العصر من قبل.. تصرفاته توحي بهذا وتؤكده أيضًا.. انه يعرف الكثير, و...

قال سليم يقاطعها:

- لا تنسي أنه شاهين الأبيض.. أقوى مقاتلي المعبد, والمرشح الأول ليكون المعلم الأكبر.

نظرت إليه أريج بتحدٍ وهي تقول:

- وما الذي نعرفه عن المعلم أكثر من هذا؟ لا أحد في المعبد يعرف عنه أي شيء.. لقد وعينا الحياة وهو موجود.. كل ما نعرفه عنه هو تلك المعارك التي خاضها ضد لوسيفر.. ولكن.. هل نعرف متى بدأ الأمر؟ متى كان اللقاء الأول بينهما؟ هذه أمور لا يعرفها حتى كبار الحكماء بالجماعة, فكيف نعرف حقيقة الأمور وكل هذا الغموض يكتنفه؟

قال سعد بتردد:

- وحتى لو افترضنا أن المعلم عاش في هذا الزمن من قبل, فكيف لا تظهر عليه علامات التقدم في العمر؟ لا تنسي أننا في زمن يبعد عن زمننا آلاف السنوات.

نظرت إليه أريج قليلاً, قبل أن تزفر بحدة وهي تقول:

- لا أعرف.. الأمر برمته يبدو غامضًا, والموقف كله مرتبك.. ولكني واثقة مما ينبئني به حدسي.. المعلم شاهين لم ينتقل إلى هذا الزمن من قبل وحسب.. بل عاش فيه.. كان جزءًا منه.

تبادل سعد وسليم نظرة تموج بالكثير من المشاعر والانفعالات.. والكثير الكثير من الأسئلة التي لن تعرف لها مستقرًا.. في الوقت الحالي على الأقل.

انفرجت شفتا سعد ليقول شيئًا ما, ولكن طرقات على باب المنزل جعلته يحجم, في حين منعت أريج شهقة من الانفلات من حلقها, وعقد سليم حاجبيه وهو يمد يده إلى مقبض سيفه تحت العباءة التي يرتديها فوق زيه

القتالي..
- لماذا تصر على فعل هذا في كل مرة تأتي فيها إلى هنا؟
كان السؤال بصوت ذكوري قوي, وسمع الثلاثة صوتًا يقول بلهجة حزينة:
- إنها العادة ليس إلا.. أنت تعرف...
بتر الصوت عبارته.. ولكن الذهول ارتسم على وجوه الثلاثة عندما ميّزوا صوت المعلم شاهين الأبيض.. ربما كان الصوت يوحي بأن صاحبه شاب في كامل حيويته.. ولكنه دون شك صوت المعلم.
تبادل الثلاثة نظرات متوترة, وخفقت قلوبهم بقوة عندما راح مقبض الباب يدور ببطء شديد, فأومأ سعد برأسه إلى سليم وأريج, وعلى الفور, وبحذر شديد تراجع الثلاثة إلى تلك الغرفة الجانبية, وعبر شقوق بابها رأوا باب المنزل يفتح ليسمح بضوء الشمس بالدخول وغمر كل شيء بوهج دافئ.
أمامهم دلف ذلك الرجل ذو القامة المفرودة, والبنيان المتماسك, وكان ضوء الشمس من خلفه يخفي الكثير من ملامحه.. حتى أغلق الباب وراءه واتضحت لهم ملامحه, وكانت المفاجأة الصاعقة!
كان أمامهم المعلم شاهين الأبيض.. ولكن نسخة أكثر شبابًا وحيوية من الرجل الذي صحبهم من المعبد في هذه الرحلة الزمنية.
كان يرتدي ثيابًا تناسب العصر, وانسدل شعره الأسود على كتفيه, وبدا وجهه حليقًا, ومن عينيه الزرقاوين أطلت نظرة حزينة.
نظرت أريج إلى سعد وسليم.. وأدرك الاثنان من نظراتها بأنها أرادت أن تقول لهما:
- لقد كنت محقة في كل كلمة قلتها.. وها هو الدليل القاطع أمامكما.
إنهم ينظرون الآن إلى معلمهم.. ولكنه ليس الرجل ذاته الذي عرفوه من قبل.. إنه رجل آخر.. رجل لن يتعرف عليهم لو رآهم.. ولا يعرفون كيف سيتصرف لو وقعت عيناه عليهم الآن.. هل سيقاتلهم؟ هل سيمنحهم الفرصة لشرح ما يحدث؟

- أنا أعرف أنكم في تلك الغرفة.. يمكنكم الخروج.
قالها شاهين الشاب وابتسامة ترتسم على شفتيه, فتبادل الثلاثة نظرة متوترة دون أن يجرؤ أيهم على التقدم خطوة واحدة خارج الغرفة.
- لقد قابلت نفسي منذ ساعات.. لم أكن أعرف أنني سأصبح عجوزًا إلى هذه الدرجة.. ولكنه أخبرني بكل شيء عن وجودكم.. وعن مهمتكم في هذا المكان.. فاخرجوا ولا تخافوا.
تردد الثلاثة قليلاً قبل أن يغادروا الغرفة إلى ردهة المنزل ليجدوا المعلم شاهين واقفًا أمامهم على شفتيه ابتسامة واسعة وهو يقول:
- هذا أفضل بالتأكيد.
ظل الثلاثة مسمرين أمامه قبل أن تقول أريج بصوت مبحوح من فرط الانفعال:
- من.. من أنت؟!
كان سؤالها غبيًّا في نظر سعد وسليم, ولكنهما آثرا الصمت, في حين قال شبيه معلمهم:
- أنا شاهين.. ولكنكم تعرفونني باسم المعلم شاهين الأبيض.. صحيح أنني لم أصبح معلمًا بعد, ولم أنضم إلى تلك الجماعة في هذا الزمن.. ولكنني هو.
قال سليم ويده تمتد إلى مقبض سيفه:
- وأين المعلم شاهين إذًا؟!
قال الشبيه وابتسامته تتسع:
- أنت تقصد قريني المستقبلي, أليس كذلك؟ اطمئن.. إنه بخير.. سوف نلحق به الآن.
قال سعد متسائلاً:
- إلى أين؟!
نظر إليه الشبيه وهو يقول مجيبًا:
- إنه الآن في برج بابل يستعد للفخ الذي نصبه للوسيفر.. دعونا نغادر الآن,

فأنتم خط الدفاع الثاني في حال فشل خط الدفاع الأول في الإيقاع بلوسيفر.
عقدت أريج حاجبيها وهي تقول:
- ولكنه أخبرنا بأنه خارج لجمع المعلومات فقط, فكيف...
قال الشبيه يقاطعها:
- لقد التقيت به مصادفة.. وأخبرني بكل شيء, ولهذا عرضت عليه الخطة التي كنت أعدها منذ أشهر للإيقاع بلوسيفر, فإذا به يوافقني عليها. لقد طلب مني القدوم إلى هنا والعودة بكم إلى برج بابل.
واكتست ملامحه بقناع صارم وهو يقول:
- والآن.. هيا بنا.. الوقت يمر بسرعة, ولوسيفر وكهنة العقارب سيكونون في البرج عندما تتوسط الشمس كبد السماء.
قال سعد وهو يتقدم للأمام بضع خطوات:
- وكيف يمكننا أن نثق بك يا هذا؟!
نظر إليه الشبيه للحظات قبل أن يقول وهو يتناول شيئًا من حزام حول وسطه:
- لقد طلب مني معلمك أن أريكم هذا الخاتم حتى تثقوا بأنه أرسلني إليكم.
تقدم الثلاثة منه, وخفقت قلوبهم عندما رأوا خاتم المعلم شاهين الأبيض مستقرًا في راحة الشبيه, بذلك النقش المميز في منتصفه, وارتفعت أعينهم إلى الشبيه, وسرت رجفة في أجسادهم وهو يرون ذلك البريق المطل من عينيه الزرقاوين وهو يقول:
- أنتم تثقون بي الآن. هيا بنا.. فمن الواضح أن قريني المستقبلي لا يتميز بالصبر بعد أن بلغ هذا العمر.
ولم تتمكن أريج من منع تلك الابتسامة المترددة من الارتسام على شفتيها.

***

-٧-

كان جناح الأميرة سيدوري- والدة الأمير إيشارا حاكم بابل - رائعًا بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ للروعة والجمال والذوق الفني الرفيع.

فبطول الجناح اصطفت أعمدة من الرخام الوردي المنحوت بدقة متناهية, وفي قمة كل عمود وبالقرب من سقف المكان المرتفع بدا تاج من الذهب وفوقه استقر رأس أسد يزأر مكشرًا عن أنياب مخيفة, وازدانت الأعمدة بنقوش متعددة لتشكيلات نباتية, وحوريات حسناوات يقدمن زهورًا لمحاربين منتصرين يجرون أسراهم بمهانة وذل, وقد ضُفِّرَت لحاهم الطويلة على الطريقة الآشورية القديمة.

- وما الذي يجبرني على تصديقك أيها الغريب؟!

قالتها الأميرة سيدوري وهي جالسة على عرش صغير من الخشب المكسو بالذهب الخالص, وزينته العديد من الجواهر المتألقة تحت أضواء الشمس المتسللة من نوافذ المكان المفتوحة على مصاريعها.

رفع شاهين الأبيض بصره إلى الأميرة وتأمل ملامحها التي امتزج فيها الجمال بالمهابة على نحو يأسر النظر, وعلى جانبي العرش الصغير وقف اثنان من العبيد وكل منهما يمسك مروحة من ريش ناعم أخذ يحركها بحركات ثابتة فوق رأس الأميرة التي أطل الغضب من عينيها الكحيلتين عندما قال شاهين وابتسامة هادئة ترتسم على شفتيه:

- القصر ما زال يحتفظ بالطابع الآشوري في كل شيء يا مولاتي الأميرة. هذا تقدير رائع لما أبدعه فنانو الإمبراطورية الآشورية, و...

قالت الأميرة تقاطعه وهي تميل للأمام قليلاً:

- هل أتيت إلى هنا لتسخر مني أيها العجوز؟!

تنهد شاهين بحرارة قبل أن يقول وهو يهز رأسه نفيًا:

- كلا يا مولاتي. بل جئت أحذرك مما قد يتسبب في الإطاحة بالأمير إيشارا عن عرشه لو استمر في دعمه لكهنة العقارب رغم كراهية الشعب لهم.

بدا التوتر على وجه الأميرة سيدوري, وتراجعت للوراء وهي تقول:
- إن إيشارا عنيد.. ورث هذا عن جده الأمير آشور الذي كان يحبه كثيرًا ويقربه إلى مجالسه أكثر من باقي إخوته وأبناء عمومته, وهو من زرع احترام كهنة العقارب في نفسه منذ الصغر. ولكن زوجي كان على العكس من والده.. كره هؤلاء الكهنة والسحر الأسود الذي يمارسونه من أجل تحقيق أغراضهم الشخصية, ولقد قام بطردهم بالفعل, ونفيهم إلى المعبد الذي بناه لهم الأمير آشور.. ولكن منذ أصبح ذلك الرجل المدعو لوسيفر كبيرًا لهم.. بدأ كل شيء يتغير حقًّا. لقد قتل زوجي باستخدام سم العقارب في فراشه.. كانت رسالة قوية للغاية.. ولهذا قربهم إيشارا مرة أخرى, وفتح لهم أبواب بابل من جديد.
قال شاهين:
- إذن, فمولاتي تشاركني كراهية هذه الجماعة من ممارسي السحر الأسود.
أطلت نظرة حادة من عيني الأميرة وهي تقول:
- قد يكون هذا صحيحًا.. ولكنهم لم يُقْدِموا على فعل أي شيء للتخلص منه, وإقصائه عن عرش جده وأبيه.
أومأ شاهين برأسه إيجابًا وقال بلهجة صبور:
- ولن يقدموا على أي فعل مباشر ليحققوا هذا الغرض يا مولاتي. سوف يدفعون الأمير إيشارا ليدق الأوتاد المسمومة في جسد مملكته.. سيجعلونه يفعل كل ما سيجعل الشعب يثور عليه ويسقطه عن العرش, وبهذا تدب الفوضى في بابل بعد سنوات طويلة من الاستقرار والرخاء.
قالت الأميرة سيدوري والخوف يحل في عينيها مكان الحدة أو الغضب:
- وهل يسعى لوسيفر هذا ليكون أميرًا لبابل؟
هازًّا رأسه نفيًا قال شاهين:
- كلا.. إنهم لا يسعون للحكم وحيازة السلطة. ولكنهم يعملون على نشر الفوضى في أي مكان يذهبون إليه, وسلب خيراته وكنوزه, ومن ثم الهرب بها

بعيدًا إلى مكان آخر ليعيدوا الكَرَّة.
قالت الأميرة سيدوري باستنكار شديد:
- أهذا هو هدفهم فقط؟ فرسان بابل المخلصون لن يسمحوا لهذا أبدًا.
قال شاهين بلهجة مشفقة:
- فرسان بابل الذين أعرفهم يحبون أميرهم لدرجة العبادة يا مولاتي, ولن يعارضوه في أي أمر أبدًا, وحتى لو فعلوا.. فسوف يأمر الأمير إيشارا بإعدامهم جميعًا بتهمة الخيانة العظمى.. أنتِ لا تتصورين مدى قوة لوسيفر وسحره, ولا مدى سيطرته على عقل الأمير الشاب ومشاعره.
نظرت إليه الأميرة سيدوري بخوف شديد وهي تقول:
- تتحدث وكأنك تعرف عنهم كل شيء.. وكأنك.. وكأنك...
بترت عبارتها وهي تبتلع ريقها بصوت مسموع, فقال شاهين بلهجة هادئة:
- وكأني واحد منهم, أليس كذلك؟
اتسعت عينا الأمير برعب وهي تهز رأسها إيجابًا, وقد سقط قناع المهابة الذي كان ظاهرًا في ملامحها, فتنهد شاهين قبل أن يقول:
- لا داعي للخوف يا مولاتي, فلم آت إلى هنا متجشمًا كل العناء والألم إلا لمساعدة الأمير إيشارا في التخلص من هذا الشر المحدق به وبمملكته.. لقد أتيت ومعي أناس قبلوا التضحية بكل شيء حتى يقضوا على هذا الرجل.. لوسيفر.
هدأ روع الأميرة بعض الشيء وهي تقول:
- تتحدث وكأنه عدو شخصي لك.. وكأن بينك وبينه خصومة ما.
قال شاهين مجيبًا:
- هذه هي الحقيقة يا مولاتي. أن جزءًا من مطاردتي له هو ثأر قديم, وعداوة راسخة منذ سنوات طويلة.
قالت الأمير تسأله:
- وحتى لو كنت صادقًا فيما تقول.. فكيف أستطيع مساعدتك؟ إن إيشارا لا

يسمح لي بأن أتدخل في شئون الحكم أبدًا.
قال شاهين وهو يقترب من العرش قليلاً:
- في إمكانك مساعدتي إن كانت نيتك صادقة, وحياة إيشارا وبقاؤه على عرش بابل يهمانك.
قالت الأميرة بصدق أُمٍّ محبة لابنها, وكأنها نسيت كونها أميرة بابل:
- سوف أفعل كل ما تطلبه مني أيها الغريب.
مبتسمًا قال شاهين:
- أولاً.. اسمي هو شاهين يا مولاتي. ثانيا.. أريدك أن تجمعي أكثر عدد من الفرسان المخلصين لإيشارا.. سوف يلعبون دورًا مهمًّا في نجاح الخطة.
قالت الأميرة وهي تنهض عن العرش وتتقدم نحوه, ومدت يديها إليه:
- عِدني بأنك ستفعل كل ما تستطيع لإنقاذ ولدي إيشارا من سيطرة هذا الرجل وجماعته.
نظر شاهين إلى يديها قليلاً قبل أن يتناولهما بين كفيه وهو يقول:
- أعدك بهذا يا مولاتي.
تنهدت الأميرة سيدوري بارتياح قبل أن تقول:
- أخبرني بخطتك إذًا.

***

-٨-

المكان: عالم الظلام.

الزمان: غير معلوم.

***

ستة من مخلوقات عالم الظلام..

ستة من سفراء الجحيم..

دائرة الأبد.. الدم الأسود..

شعلة الكراهية.. محراب الظلام الدامس..

اجتمعوا.. من أجل توحيد القوى..

من أجل التقارب الأسود..

أجل.. إنهم جميعًا هنا..

إنهم..

سفراء الجحيم الستة..

ينقصهم رأس المثلث.. وحجر الزاوية..

ينقصهم.. أمير الظلام..

ينقصهم..

لوسيفر.

***

- لقد تمادى لوسيفر في الآونة الأخيرة. والأدهى أنه الوحيد الذي يحظى بثقة بلعزبول الكبير دون سائر السفراء الآخرين.

الصوت ذو الرنة العجيبة يتردد في ذلك الظلام المخيف.. الظلام الأبدي.. الأزلي.. الحي بتلك النبضات تسري فيه على الدوام.. ودون توقف..

في قلب هذا الظلام اجتمع سفراء الجحيم الستة حول مائدة كبيرة.. في قلب هذا الظلم كانوا جالسين جميعًا.. أمام كل واحد منهم استقرت شمعة سوداء زادت من رهبة الموقف..

- لا تنسوا أيضًا أنه الوحيد الذي جعله بلعزبول يبحث عن المفتاح الأسود.
الستة على ترتيب مكانتهم: شالون، إبسيالون، سايا، راحيل، بهموت، نوسفيراتو.. ملامحهم لم تكن ظاهرة على الإطلاق بسبب الظلام.. فقط بدوا كأشخاص مجتمعين حول المائدة السوداء..
- هل أنتم واثقون من أن اجتماعنا لن يعرف عنه بلعزبول أي شيء؟! إنه اجتماع تآمري لو أردتم رأيي المتواضع.
قالها واحد منهم بصوت رفيع يشبه أصوات الأطفال.
- لقد تم اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة.. لن يعرف عن اجتماعنا شيئًا.
قالها صوت عميق ولزج, فتعالت همهمات الموافقة من حوله.
- وماذا عن لوسيفر! ألا تخشون أن يعرف بأمر هذا الاجتماع السري؟!
قالها صوت أنثوي بارد وصوت نقرات أظافر حادة يتردد من حولهم.
- اطمئني.. إنه مشغول الآن بالدفاع عن وجوده في هذا الزمن.
قالها صوت أنثوي آخر واثق.
- ما الذي تقصدينه بهذا؟!
- لقد استدعاني لوسيفر منذ ساعات قليلة.. من حسن حظه أن كنت قريبة من مكان وجوده.. كنت أراقبه إن أردتم الحقيقة.
- وما الذي أراده منك يا ترى؟ آخر ما أعرفه أنه كان قريبًا من التوصل إلى مكان اختفاء معبد جماعة النور.. فما علاقة هذا بوجوده في هذا الزمن؟!
- لقد لجأ خصمه اللدود شاهين الأبيض إلى الطريقة الوحيدة للقضاء على لوسيفر.. وللأبد.
تعالت الشهقات في المكان..
- مستحيل..
- غير معقول.. لوسيفر؟! هل هناك شيء قادر على التخلص منه ولا نعرفه؟!
- أخبرينا ولا تلعبي بنا على هذا النحو.
- اهدأوا.

ساد الصمت لبعض الوقت..

- بل تعرفونه بالتأكيد.. ولكن لم يحاول أحد منا جميعًا اللجوء إليه كما فعل شاهين الأبيض. لقد لجأ إلى البوابات الزمنية.. فعلها ليتعقب لوسيفر عبر العصور الماضية التي وجد فيها.. فلو نجح في قتله في أحدها.. فسينهي وجوده للأبد في هذا الزمن.

- وكيف اكتشف لوسيفر ما فعله شاهين؟!

- لقد كان بالفعل قريبًا من معبد النور المقدس.. ولهذا رأى الوهج المنبعث من إحدى البوابات, وكان هذا هو سبب استدعائه لي. لقد أراد الاستفادة من قدراتي التعقبية لمعرفة الزمن الذي انتقل إليه شاهين الأبيض.

- وهل عرفته؟

- بالتأكيد. بابل.. إبان حكم الأمير إيشارا ابن الأمير فاراد ابن الأمير آشور.. لقد انتقل شاهين الأبيض إلى ذلك الزمن ومعه ثلاثة من مقاتلي معبد النور.

- بابل؟! لقد أحسن شاهين الاختيار حقًّا! في ذلك الوقت كان لوسيفر مجرد كاهن في حماعة تمارس السحر الأسود.. ماذا كان اسمها؟

- كهنة العقارب.. وفي ذلك الزمن كان لوسيفر كبير الكهنة. ومهمة شاهين لن تكون سهلة بعد أن قرر أمير الظلام أن يتبعه محافظًا على وجوده من الفناء, فهو يعلم أن شاهين الأبيض قادر على هزيمة قرينه في ذلك الزمن دون عناء.

- لقد غادر لوسيفر زمننا إذًا.

- ليس بعد. سوف أشعر بهذا عندما تنفتح البوابة من جديد. وحينها سيتأكد لنا الأمر.

- وما الذي يمكننا أن نفعله لنستفيد من هذا؟

- أيها الأحمق! إنها فرصة ذهبية لنعرف مكان وجود معبد النور ونستعيد صفوان ونعرف مكان وجود المفتاح الأسود.

- وعندما نقدمه نحن لبلعزبول الكبير.. لن يصبح لوسيفر صاحب الحظوة وحده.. ولن يصبح لقب أمير الظلام حكرًا عليه فقط. إنها فرصة ذهبية لنا

جميعًا, وعلينا أن نحسن استغلالها على أكمل وجه.
وماذا لو نجح لوسيفر في القضاء على شاهين الأبيض؟ هل ستخاطرون جميعًا بمواجهته إذا عاد منتصرًا؟
- أرى أن نرسل وراءه من يتعقبه.
- وما الذي سنستفيده من هذا؟!
- غبي.. سوف نعلم كل تحركاته بهذه الطريقة, فإذا نجح في التخلص من شاهين سارعنا بقتله وهو معلق عبر الزمن.. أما لو نجح شاهين في قتل أي قرين له في الماضي.. ستصبح مراقبة وحسب دون أن نتدخل.. هل فهمت الآن؟
- ومن الذي سيقوم بهذه المهمة يا ترى؟
- ستكون سايا منهم دون شك, فهي الوحيدة القادرة على تعقب البوابات الزمنية.
- لا يمكن أن أذهب وحدي في هذه المهمة.. لا بُدَّ أن يصحبني شخص آخر منكم.
- سوف يذهب معك نوسفيراتو.
- ولماذا أنا بالذات؟!
- لأنني قلت هذا أيها الأحمق. سوف تتعقب لوسيفر مع سايا.. انتهى الأمر.
وبعد هذه العبارة ساد صمت رهيب في هذا الظلام.. وواحدة تلو الأخرى راحت الشموع السوداء تتلاشى ليسود ظلام تام.

***

- إن بابل مدينة مبهرة بحق.

قالها قرين المعلم شاهين في هذا الزمن وابتسامة ترتسم على شفتيه عندما رأى ذلك الانبهار على وجوه أفراد الفريق الثلاثة, وهو يقودهم عبر طرقات المدينة القديمة والعريقة.

كان كل شبر في هذه المدينة ينطق بالقوة والعظمة والجمال.. المباني التي تم تشييدها بتناسق باهر, والطرقات المغطاة بحجارة ملونة متناسقة, حتى المارة من حولهم بدوا جزءًا من هذه اللوحة الفنية بثيابهم الباهرة. النساء في كامل حليهن وزينتهن, وروائح العطور والزيوت تتناثر من حولهن لتدير الرءوس, والرجال بشعورهم الطويلة, ولحاهم المضفرة تلمع تحت أشعة الشمس بسبب ما ضمخت به من زيوت عطرية.. كانت المدينة كلها تبدو وكأنها في يوم احتفال ما.

- الناس جميعًا يسيرون معنا في الطريق ذاته, فلماذا؟

قالها سعد وهو يدور بعينيه المنبهرتين في كل شيء من حوله, ونظر إليه سليم وأريج عندما قال قرين المعلم شاهين:

- إنه اليوم الذي تحتفل فيه المدينة بذكرى الانتهاء من بناء برج بابل العظيم الذي بدأه الأمير آشور جد الأمير إيشارا. إنه احتفال سنوي باهر يحضره جميع أهالي المدينة باختلاف طبقاتهم وأعمالهم, وبالتأكيد هي فرصة مثالية لرؤية الأمير إيشارا وهو يدشن الاحتفال بنفسه.

تبادل الثلاثة نظرة سريعة قبل أن تقول أريج متسائلة بصوت خفيض:

- وبالتأكيد سيكون لوسيفر وكهنة العقارب حاضرين في هذا الاحتفال, أليس كذلك؟

مجيبًا قال قرين المعلم شاهين دون أن يلتفت إليهم أو يتوقف عن السير:

- بلى. الأمير إيشارا لا يمكن أن يقيم الاحتفال دون وجود لوسيفر فيه.

عقد سليم حاجبيه وهو يقول:

- من الواضح أن أميركم هذا يكن إعجابًا شديدًا لأمير الظلام!
توقف القرين عن السير والتفت إليهم وهو يقول متعجبًا:
- أمير الظلام؟! ما الذي تتحدث عنه بالضبط؟
قالت أريج:
- ألم تقل بأن المعلم شاهين قد أخبرك بكل شيء؟
زفر القرين وقال وهو يلوح بيده:
- هذا صحيح.. ولكنه لم يذكر أي شيء عن كون لوسيفر أميرًا للظلام.
عاد الثلاثة يتبادلون نظرة أخرى قبل أن يقول سليم:
- إنه لقب منحه بلعزبول الكبير سيد عالم الظلام للوسيفر بعد سنوات من خدمته, وتنفيذ مخططاته للسيطرة على العالم.
التقى حاجبا القرين في تقطيبة عميقة وهو يقول حاكًّا ذقنه الحليق بسبابته:
- من الواضح أن لوسيفر سيحوز شأنًا عظيمًا, وقوة تفوق قوته، في المستقبل. من الجيد أن لجأ قريني المستقبلي إلى هذه الخطة للقضاء عليه وهو لا يزال أقل قوة مما سيصبح عليه.
تنهد سليم قبل أن يقول:
- أكثر مما يمكنك تخيله. لقد خاض المعلم ضده العديد من المعارك الرهيبة.. وحتى المعركة الأخيرة كانت...
بتر سليم عبارته عندما لاحظ ذلك الاهتمام الشديد على وجه القرين, فعقد حاجبيه وهو يقول ملوِّحًا بكفه:
- لا أستطيع أن أخبرك بالمزيد ما دام المعلم لم يفعل ذلك بنفسه.
نظرت إليه أريج قليلاً قبل أن تنظر إلى القرين وهي تسأله بارتياب:
- ما الذي أخبرك به المعلم شاهين بالضبط؟
نظر إليها القرين وهو يقول مجيبًا:
- لقد كان ظهوره مفاجئًا لي في البداية.. لقد شعرت بأنني أنظر إلى انعكاس لي في مرآة سحرية.. صورة لما سأبدو عليه في المستقبل. أخبرني بأنه يعلم بأمر

ملاحقتي للوسيفر, وأنه جاء من المستقبل للقضاء عليه, فهذا من شأنه إنهاء حياة لوسيفر للأبد, وأخبرني كذلك عن وجودكم في ذلك المنزل القديم الذي كنت أعيش فيه منذ زمن بعيد.

قال سعد:

- هذا ما أخبرك به فقط؟

أومأ القرين برأسه إيجابًا وهو يقول:

- لم يخبرني بأي شيء عن المستقبل, وعما سيكون مصير لوسيفر.. لم يخبرني بأي شيء عن عالم الظلام, وذلك الذي تسمونه بلعزبول.

وصمت هنيهة قبل أن يقول وتعبير جاد يرتسم على ملامحه:

- ولكن كل هذا يجعلني أستمر في مساعدته للقضاء على لوسيفر في هذا الزمن.

واستدار وقال وهو يواصل السير:

- هيا بنا. الشمس تقترب من كبد السماء, وحينها سيبدأ الاحتفال, ولا بُدَّ أن نكون موجودين هناك.

استمر الثلاثة في سيرهم لساعة أو يقل عنها قليلاً قبل أن تفلت منهم شهقات انبهار عندما بلغوا تلك الساحة الواسعة التي أحاطت بها أسوار عالية, فبدت وكأنها مدينة في قلب بابل, ورغم ارتفاع الأسوار المخيف بدت تلك القمة واضحة لأعينهم وقد تألقت عندها تلك القبة الذهبية على نحو باهر تحت أشعة الشمس.

- برج بابل.. فخر المدينة ورمز قوتها.

قالها القرين وهو يتجه نحو إحدى البوابات المنتشرة بطول الأسوار وقد بدا عليها جنود مدججون بالسلاح يرمقون الناس بنظرات الشك والارتياب وهم يعبرون البوابات جماعات وفرادى.

كان البرج شاهق الارتفاع, وبدت قمته وكأنها تعانق زرقة السماء, وتخترق السحب البيضاء في مشهد يثير القشعريرة في الأبدان.

من حجارة بيضاء ورمادية تم تشييد البرج, وارتفعت طوابقه الواحد تلو الآخر في تتابع هندسي باهر, وفي كل طابق منها بدت تلك الشرفات المصممة بإبداع, وعليها تماثيل من الرخام لآلهة بابل وهي تمد أيديها في مشهد مهيب وكأنها تمنح بركتها لكل ما تظله سماء المدينة, وتحتويه أسوارها.

حول البرج, وبشكل حلزوني التفت درجات من السلالم من ذات الحجارة الرمادية والبيضاء حتى بلغت قمة البرج المتألقة تحت ضوء الشمس, وفي الساحة الواسعة بدا الناس متجمعين, وأصواتهم المتحمسة تسري في كل جانب كما تسري النار في الهشيم.

- يا له من بناء رائع.. كم استغرق بناؤه؟!

قالها سعد بلهجة منبهرة, فقال القرين مجيبًا وهو يشبك ذراعيه أمام صدره:

- لقد بدأ بناؤه عندما جلس الأمير آشور على عرش بابل.. لقد أراده أن يكون رمزًا لتحرر المدينة واستقلالها عن سلطة الآشورين.

وصمت هنيهة قبل أن يقول متابعًا:

- وتم بناؤه منذ ثلاث سنوات تقريبًا عندما مات الأمير فاراد وتولى الأمير إيشارا مقاليد الحكم.

قالت أريج وهي تضيق عينيها:

- تقصد عندما قتل الأمير فاراد.

تنهد القرين بحرارة قبل أن يقول وهو يهز رأسه إيجابًا:

- هذا صحيح.. عندما أرسل لوسيفر عقاربه لتقتل الأمير في مخدعه.

قال سعد:

- ورغم هذا, فإن الأمير إيشارا سمح له بالعودة إلى بابل مرة أخرى.

التفت إليهم القرين وهو يقول:

- لا تلم الأمير إيشارا, فلقد زرع فيه جده الأمير آشور احترام كهنة العقارب منذ كان طفلاً. ثم إن الأمر يتعدى مجرد الاحترام.

قالت أريج تسأله:

- ما الذي تقصده؟

مجيبًا قال القرين:

- إنه أمر قرب لسيطرة سحرية على الأمير إيشارا.. لقد سحره لوسيفر وكهنة العقارب ليكون ألعوبة في أيديهم, ينفذون مخططهم عن طريقه.

قال سليم متسائلاً:

- وما هو هذا المخطط يا ترى؟

نظر إليهم القرين للحظات قبل أن يقول:

- مخطط الفوضى التامة.

وقبل أن يهم أحدهم بسؤاله عما يعنيه علا في المكان صوت أبواق تردد لحنًا حماسيًّا, فساد الصمت في المكان, والتفتت جميع العيون إلى البوابة الرئيسية للمكان ليروا صفًا من الفرسان شاكي الأسلحة وقد اصطفوا على جانبيها.. لم يكونوا جنودًا عاديين.. بل هم صفوة فرسان بابل المقربين للأمير إيشارا.

- لقد وصل الأمير إيشارا, وسيكون لوسيفر بصحبته دون شك.

قالها القرين وهو يضيق عينيه, ومن ثم التفت إلى الثلاثة وهو يقول بلهجة آمرة ذكرتهم بالمعلم شاهين الأبيض الذي يعرفونه:

- اتبعوني.. الخطة تقتضي أن نصل إلى قمة البرج حيث سيوجد الأمير ولوسيفر لبدء الاحتفال.

***

تهادى موكب الأمير إيشارا على نحو رائع يخطف الأبصار, تحفه مظاهر العظمة والقوة بلا حدود, خصوصًا مع الفرسان الذين اصطفوا على جانبيه. على عجلة حربية مذهبة الحواف يجرها جوادان قويان وقف الأمير إيشارا بقامته الممشوقة, وزيه القتالي, وملامحه الوسيمة, ولحيته المضفرة, وفوق رأسه استقرت خوذة نحاسية لامعة في منتصفها تألقت ماسة ذات لون فيروزي باهت.

إلى جوار الأمير إيشارا وقف لوسيفر - كبير كهنة العقارب - في ثيابه السوداء, وملامحه الباعثة على الخوف, والقادرة على جذب الانتباه إليها في الوقت ذاته, وتلك الابتسامة الواثقة التي ارتسمت على شفتيه الرفيعتين.

خلف العجلة الحربية تقدم موكب أصغر يحمل محفة انسدلت حولها أستار حريرية, ووراء هذه الأستار جلست الأميرة سيدوري, ورغم المهابة البادية على ملامحها, فإن أعماقها كانت تعصف بالتوتر والانفعال وهي تتذكر لقاءها بشاهين الأبيض, وتلك الخطة التي وضعها ليخلص ابنها من سيطرة لوسيفر وكهنة العقارب للأبد.

مالت للأمام قليلاً لتزيح الأستار بمقدار صغير, واختلست نظرة إلى العجلة الحربية التي تحمل ابنها ولوسيفر, ورأت الأول يلوح بيديه لجميع الحضور وهم يهتفون بحياته, وبعظمة بابل, وبقائها فوق الجميع ببركة الآلهة, ومن ثم انتقلت عيناها إلى جانب وجه لوسيفر, وتلك الابتسامة على شفتيه, ولَمْ تَدْرِ لمَ بعثت رؤياه هذه القشعريرة الباردة في أوصالها, وعادت ذاكرتها إلى اليوم الذي استيقظت فيه لتجد زوجها الأمير فاراد جثة منتفخة ومسودة بسبب سم العقارب الذي سرى بها وقتله بلا رحمة. وتردد السؤال في عقلها مدويًّا..

هل سيكون هذا مصير إيشارا لو فشلت خطة ذلك الغريب شاهين في التخلص من لوسيفر كما وعدها؟!

تراجعت للوراء لتعود الأستار إلى مكانها, وأخذت نفسًا طويلاً ملأت به صدرها, وحبسته قليلاً قبل أن تخرجه في زفرة قوية وهي تتذكر كلمات شاهين الأخيرة لها..

- للمرة الثانية سأطلب منك أن تعدني بأنك ستحمي ولدي من أي مكروه, ومن أي انتقام يدبره لوسيفر لو فشلت خطتك.

قالتها له وهي تنظر إليه بقلق أُم لا يهمها في الحياة أكثر من حماية ابنها..

لم تكن تتحدث إليه كأميرة بابل.. كأرملة أمير.. وأم أمير.. بل كأم.. فقط أم حنون مُحبة.

تنهد شاهين الأبيض حينذاك, وربَّت على يدها المستقرة بين كفيه برفق وهو يقول:

- لقد وعدتك يا مولاتي. لن يصاب الأمير إيشارا بأي أذى, وحتى لو فشلت الخطة كما تقولين, فسوف أحرص على إبقاء لوسيفر مشغولاً بأمور أخرى بدلا من التدبير للانتقام من الأمير.

نظرت قليلاً إلى عينيه الزرقاوين قبل أن تقول بصوت متهدج:

- لتحفظك الآلهة من كل سوء أن أرحت قلب أم.

- هل تشعر مولاتي الأميرة بالتعب؟

انتفض جسدها عندما سمعت تلك العبارة, واتسعت عيناها عندما وجدت أن الموكب قد توقف عند بداية تلك الدرجات الصاعدة إلى قمة البرج الذهبية.

كان الأمير إيشارا قد أزاح الأستار ومد يده إليها ناطقًا بالعبارة السابقة, وإلى جواره وقف لوسيفر, وما زالت ابتسامته المقيتة مرتسمة على شفتيه.

- إن نهايتك تكمن في نهاية هذا السلم أيها اللعين.

قالتها الأميرة سيدوري في نفسها, ولكنه رسمت ابتسامة على شفتيها وهي تلتقط يد ابنها, وقالت وهي تستند عليها لتترجل من المحفة:

- أنا بخير يا سمو الأمير. ينبغي أن لا يعكر شيء صفو احتفالك هذا اليوم.

طبع الأمير إيشارا قُبلة على يدها قبل أن يقول:
- لتحفظك الآلهة دومًا يا أماه.
ربتت الأميرة سيدوري على وجنته برفق قبل أن تنظر نحو لوسيفر وهي تقول:
- ولتكن رحيمة بروح والدك الأمير فاراد في العالم الآخر.
نظر إليها لوسيفر بتحدٍ, ودون أن تتزحزح ابتسامته قيد أنملة, وإنما قال مشيرًا إلى السلم الحلزوني:
- هيا يا مولاي.. لتكن أنت في المقدمة كما هو الحال دومًا.
شد الأمير إيشارا قامته وبدأ في صعود السلم يتبعه لوسيفر, والأميرة سيدوري, ومن ورائهم فرسان بابل المخلصون, وأخيرًا عدد محدود ومختار سلفًا من نبلاء المدينة وأثريائها, إلى القاعة في قمة البرج ليبدأ الاحتفال بذكرى الانتهاء من تشييد البرج.

***

- لم يكن من العدل أن يتم اختياري لأكون معك في هذه المهمة يا سايا.
فوق قمة أحد الجبال التي وقع عليها ضوء القمر الفضي ليظهر الشخصين الواقفين هناك بين عواء الرياح الباردة, وندف من الثلج قد بدأت في التساقط.
سايا ونوسفيراتو.. من سفراء الجحيم السبعة..
سايا بملامحها المخيفة, وعينيها السوداوين كليلة بلا قمر, وشفتيها المطليتين بذلك الطلاء الأسود, وأظافرها الحادة كمخالب حيوان مفترس.
ونوسفيراتو بقامته القصيرة نوعًا ما, وملامحه الأقرب إلى طفل منه إلى شخص بالغ, لا كواحد من من سفراء الجحيم السبعة, بشعره الناعم الطويل, وعينيه القرمزيتين المتألقتين على الدوام, ولولا قرنين صغيرين نبتا من بين خصلات شعره الناعم لحسبه الناظر إليه مجرد طفل غر أحمق.
كان الاثنان يرتديان عباءتين سوداوين وُشِّيَتَا بخطوط حمراء وكأنها الدم.
على قمة الجبل كانا بالانتظار أن يقوم لوسيفر أمير الظلام بتحركه ويفتح

البوابة الزمنية, ومن ثم تبدأ مهمتهما بتعقبه..
- كفاك تذمرًا يا نوسفيراتو.. لقد كانت أوامر شالون أن تكون أنت مرافقي في هذه المهمة.. وأنت لا ترغب في إغضاب أقدم سفراء الجحيم.. أليس كذلك؟
قالتها سايا وهي تنظر إليه بعينين ساخرتين, وابتسامة تتراقص على شفتيها السوداوين, فعقد نوسفيراتو حاجبيه وقال بصوته الرفيع كالأطفال:
- ربما كان أقدمهم. ولكن بلعزبول الكبير فضل عليه لوسيفر ومنحه لقب أمير الظلام بعد موت إزمارا.
رفعت سايا حاجبيها في ارتياع مصطنع وهي تقول:
- ألا تعلم أن شالون له جواسيس في كل مكان؟ ماذا لو نقل له أحدهم ما قلته الآن؟ هل تدرك فداحة ما قلت؟!
امتقع وجه نوسفيراتو وبدا في هذ اللحظة كطفل حقيقي حتى مع وجود القرنين فوق رأسه, ولكن الغضب كسا ملامحه, واشتعلت عيناه بوهج مخيف عندما اهتز جسد سايا وهي تضحك بشدة, فزمجر قبل أن يهتف:
- توقفي عن هذا العبث يا سايا.
بترت سايا ضحكتها الجذلة, مسحت فمها بظهر كفها قبل أن تقول وهي تهز كتفيها:
- كنت أداعبك وحسب يا عزيزي.. لقد رأيتك عابسًا متذمرًا منذ غادرنا عالم الظلام, فأردت أن أمنحك شيئًا من المرح.
نظر إليها نوسفيراتو بِغِلٍّ قبل أن يشيح بوجهه وهو يشبك ذراعيه أمام صدره, فقالت سايا بلهجة جادة ومخيفة:
- حسن. لقد انتهى المرح.. نحن الآن في مهمة بتكليف من شالون, ولو أردت أن تعرف سبب اختيارك لتكون مرافقي في هذه المهمة.. حسن.. لأنك أحدث من انضم إلى سفراء الجحيم.. لم تَخُض بعد أي معارك حقيقية لتثبت جدارتك وأحقيتك بهذه المكانة في عالم الظلام, التي يتقاتل الكثيرون دومًا من أجل حيازتها, ومات من أجلها العشرات من خيرة مقاتلي عالمنا حتى ينالوا

رضا شالون وباقي أفراد مجلس السفراء.
وتألقت عيناها بجذل وقالت مستعيدة سخريتها السابقة:
- يمكنك اعتبارها مهمة اختبار لقدارتك يا عزيزي.. نوسفي.
عبس نوسفيراتو وهو يلوح بيده أمام وجهه:
- توقفي عن ترديد هذا الاسم.. هل تفهمين هذا؟
انفرجت شفتا سايا لتقول شيئًا ما, ولكن ملامحها عادت تكتسي بالجدية عندما ظهر ذلك الوهج الأحمر في الأفق واختفى بسرعة.
- ما هذا؟!
هتف بها نوسفيراتو وعيناه تتسعان, فقالت سايا وهي تضيق عينيها:
- لقد فتح لوسيفر بوابة الانتقال.
ورفعت كفيها للأعلى وقالت ودخان أسود يخرج منهما ليحيط بها وبنوسفيراتو المندهش:
- استعد.. سوف ننطلق وراءه الآن قبل أن تنغلق البوابة أمامنا.
قالتها ليزداد الدخان كثافة حتى أخفاهما معًا..
ومن فوق القمة, وبسرعة مذهلة.. انطلقت سحابة سوداء تقل اثنين من سفراء الجحيم قبل أن تتوهج بضوء أحمر دامٍ.. وتختفي تمامًا في السماء التي ظل أثر الوهج الأحمر بها للحظات قبل أن يعود كل شيء في المكان إلى سابق عهده.

***

-١١-

أصوات الموسيقى العذبة تصدح في القاعة الواسعة تحت القبة الذهبية في قمة برج بابل.

حول القاعة التي زينتها أعمدة ضخمة مكسوة بالذهب الخالص الذي تألق بسبب أشعة الشمس المتسللة عبر الشرفات الواسعة, مع نسمات الهواء الدافئة, وبين النبلاء المنتشرين في المكان راحت تيارات من العبيد والجواري تروح وتجيء حاملة صحاف الطعام وقد عبق المكان برائحته الزكية, وتعالى قرع كئوس الشراب هنا وهناك, مع العشرات من الضحكات والدعابات تلقى هنا وهناك.

مر بعض الوقت قبل أن يظهر الأمير إيشارا جالسًا على عرش خشبي ضخم مكسو بالذهب, وزيَّنته العديد من الأحجار الكريمة في تناسق بديع, وعن يمينه جلست الأميرة سيدوري وقد ارتسم على وجهها قناع من المهابة والجمود, وإن لم تتوقف عيناها عن الدوران في القاعة وكأنها تبحث عن شيء ما أو شخص ما.

إلى يسار الأمير الشاب وقف لوسيفر وعلى شفتيه تلك الابتسامة الواثقة, وعيناه تنتقلان بين وجه الأمير الباسم, ووجه الأميرة سيدوري الجامد, ولم يملك نفسه أن يشعر بالثقة تتزايد في أعماقه عندما رأى نظراتها هنا وهناك.. «يا لها من امرأة حمقاء! ما الذي تخطط له يا ترى؟ ليكن ما يكون».. لقد نجح في أن يجعل الأمير إيشارا طوع بنانه, وأصبح مستعدًا لفعل أي شيء من أجل كهنة العقارب, واليوم.. سوف يجعله يقدم التضحية الكبرى أمام الجميع في هذه القاعة تحت القبة الذهبية.. سوف يجعله يسلم مدينة بابل العظيمة فريسة سهلة للفوضى تضرب فيها أطنابها, وتنهار أسطورة المدينة التي بناها الأمير آشور منذ خمسين عامًا.. فيا لسخرية القدر.. لقد ساعد كهنة العقارب بقدر كبير في صناعة أسطورة هذه المدينة.. وها هم اليوم سيدقون أول مِعْوَلٍ في تهاوي هذه الأسطورة.. وللأبد!

كادت تفلت منه ضحكة ظافرة وهو يتخيل وجه عدوه اللدود شاهين في هذه اللحظة, وقد بات قاب قوسين أو أدنى من تحقيق انتصاره الكامل, ولكنه تمالك نفسه حتى لا يضيع كل شيء في هذه اللحظة الحاسمة.

- مولاي.

قالها لوسيفر وهو يميل على الأمير الذي نظر إليه وهو يقول:

- هل حان الوقت يا عزيزي لوسيفر؟

أومأ لوسيفر برأسه إيجابًا وقال وابتسامته تتسع أكثر وأكثر:

- أجل يا مولاي. اليوم لك وحدك, فأعلن الخبر للناس حتى تكتمل بهجتهم, ويصبح العيد عيدين لبابل العظيمة.

كان حديثهما هامسًا, ولكن التوتر بدا على وجه الأميرة سيدوري عندما رأت هذا اللعين يهمس في أذن ابنها, ورأت هذا الأخير ينهض عن عرشه, ويرفع كأسه عاليًا ليسود الصمت, وتتوقف الموسيقى.

دار الأمير إيشارا بعينيه في وجوه الحضور قليلاً قبل أن يقول وهو ينظر إلى لوسيفر:

- واعزيزي لوسيفر.. لمَ لا تعلن لهم أنت هذا الخبر بنفسك؟ سوف يكون له وقع مختلف لو فعلت.

نظر إليه لوسيفر بدهشة حقيقية وهو يقول مشيرًا إلى نفسه:

- أنا يا مولاي الأمير إيشارا؟!

هازًّا رأسه إيجابًا قال الأمير إيشارا وهو يربت كتفه بقوة:

- أجل.. أنت أيها الصديق المخلص لعرش بابل العظيمة.

ظلت الدهشة على وجه لوسيفر للحظات قبل أن تلين ملامحه, وتحل عليها الثقة من جديد, وقال وهو يحني رأسه أمام الأمير:

- السمع والطاعة يا مولاي.

وتقدم للأمام بضع خطوات قبل أن يفرد ذراعيه على اتساعهما وهو يقول:

- نبلاء بابل العظيمة.. اليوم أزف إليكم هذه البشرى التي...

تردد صوت قوي في القاعة الصامتة ليقاطعه:
- ليس من حق شخص مثلك أن يتحدث إلى نبلاء هذه المدينة.. أو ينقل إليهم أي شيء حقير خطط له مع جماعة من ممارسي السحر الأسود.
ساد وجوم رهيب في المكان والجميع ينظرون إلى ذلك الرجل الذي شق طريقه بين الجموع حتى أصبح أمام العرش.
كان قوي البنية يرتدي عباءة فضفاضة, وغطاء رأس أخفى ملامحه, فخفق قلب الأميرة سيدوري بقوة وهي تضم يديها إلى صدرها..
- من أنت يا هذا؟ عرف نفسك.
هتف بها الأمير إيشارا وهو يشير بسبابته باتجاه الرجل, وفي اللحظة ذاتها تحرك فرسانه وكل واحد منهم يضع يده على مقبض سيفه..
- أنا من أتى لينقذك من هذا الشخص الواقف إلى جانب عرشك يا سمو الأمير إيشارا. أنا من يريد حماية عرشك من الانهيار, وأسطورة بابل العظيمة من الضياع في مجاهل النسيان للأبد.
قالها الرجل وهو ينزع غطاء رأسه لتبدو ملامح المعلم شاهين الأبيض التي لم يميزها الكثير من الحضور.
أما لوسيفر فقد سرت في جسده رجفة عنيفة وهو ينظر إلى ملامح عدوه اللدود.. ولكن.. هذا ليس شاهين الذي عرفه لسنوات.. إنه شخص آخر يشبهه.. شخص لو أراد أن يصفه بدقة لقال إنه النسخة الأكبر سنًّا من شاهين الشاب.
فمن هذا الرجل يا ترى؟! من بحق كل سادة الجحيم؟!
- هذا الرجل محتال يا مولاي.. مُرْ فرسانك بالقبض عليه حالاً.
قالها لوسيفر وعيناه تطل منهما نظرة حقد أسود وهو يسددهما نحو شاهين تارة, ونحو وجوه الحاضرين في المكان يبحث بينهم عن وجه عدوه الذي يألفه.. أين أنت يا شاهين؟ وأي خدعة لجأت إليها هذه المرة؟
- اقبضوا عليه.

هتف بها الأمير إيشارا. وعلى الفور استل الفرسان سيوفهم وهم يندفعون نحو المعلم شاهين الأبيض والتصميم يلوح في وجوههم الصارمة, و...

- ما الذي تفعلونه بحق الآلهة؟!

قالها الأمير إيشارا وهو يرى فرسانه المخلصين يحيطون بلوسيفر إحاطة السوار بالمعصم وسيوفهم موجهة نحو صدره الذي راح يعلو ويهبط, ونظرة نارية تطل من عينيه قبل أن يلتفت إلى الأمير إيشارا وهو يقول:

- فسر لي ما يفعله فرسانك يا إيشارا.

هم الأمير بقول شيء ما والاضطراب بادٍ على ملامحه, ولكن الأميرة سيدوري قالت وابتسامة تلوح على شفتيها:

- دع أمير بابل وشأنه.. سأمنحك أنا التفسير الذي تريد.

التفت الأمير ولوسيفر نحو الأميرة سيدوري التي قالت وهي تخطو نحو شاهين الأبيض وقد وقف بثقة أمام العرش:

- هذا الرجل يستحق منك كل شكر واحترام يا إيشارا, فلولا عناية الآلهة التي أرسلته إلى جناحي في الوقت المناسب لكنت ضيعت عرش جدك ووالدك بحماقة, وسلمت أعظم مدن الشرق إلى هذا الساحر لوسيفر.

اتسعت عينا الأمير إيشارا وهو يقول:

- أماه! لوسيفر صديقي.. كيف تصفينه بكل هذه الأمور الرهيبة؟!

قبل أن تقول الأميرة شيئًا, سبقها شاهين الأبيض ليقول:

- لن يستجيب لكِ يا مولاتي, فلا تنسي أنه واقع تحت سيطرة لوسيفر وسحره الأسود.

رغم السيوف المسددة نحوه قال لوسيفر بلهجة مخيفة:

- لا أعرف من أنت أيها الغريب, ولا أي خدعة حقيرة لجأ إليها شاهين هذه المرة, ولكن هل تظن أن رجالي سيقفون مكتوفي الأيدي وأنا أسير على هذا النحو؟!

ارتسمت ابتسامة واثقة على شفتي شاهين الأبيض وهو يقول:

- وهل ظننت أنني غِرٌّ ساذج ولن أدعم نفسي بقوة توازي قوة كهنة العقارب يا عزيزي لوسيفر؟

نظر إليه لوسيفر بغلٍّ وهو يقول:

- لو كت تقصد هؤلاء الفرسان, فأنت واهم, و...

- بل كان يقصدني أنا.. وهؤلاء يا لوسيفر.

التف لوسيفر والجميع معه إلى صاحب العبارة, وارتفعت شهقات الذهول عندما رأى الجميع نسخة أصغر سنًا من شاهين يقف وذراعاه معقودتان أمام صدره, ووراءه وقف سعد وأريج وسليم وكل واحد منهم يضع يده على مقبض سيفه في وضع استعداد للقتال في أي لحظة.

- ما هذا بحق الآلهة؟! ما الذي يحدث هنا؟!

هتف بها الأمير إيشارا وهو يتراجع للوراء وينهار على عرشه المكسو بالذهب.. فالمشهد أمامه لا يوحي إلا بالجنون التام..

- لا تقلق يا مولاي الأمير, فنحن هنا لإنقاذك من هذا الرجل.

قالها شاهين الشاب وابتسامة تلوح على شفتيه, وعيناه تلتقيان بعيني لوسيفر في تحدٍ سافر..

إنها النهاية أخيرًا يا لوسيفر..

لا مهرب.. لا مفر.. إنها اللحظة التي ستدفع فيها ثمن كل ما اقترفته يداك.. الآن.. وإلى الأبد.. وفي هذا الزمن.

- هل تظن نفسك انتصرت علي حقًا يا شاهين؟!

دوى الصوت الرهيب في القاعة.. وأضاءها وهج أحمر كالدم قبل أن يتجسد ذلك الرجل في منتصف القاعة وثيابه السوداء تتطاير من حوله في مشهد مُرَوِّع.

والتقى حاجبا المعلم شاهين الأبيض على نحو يوحي باستشعاره خطورة ما يحدث.. ففي منتصف القاعة بدا لوسيفر آخر متجسدًا وعلى ملامحه ارتسمت علامات غضب شديد, ومن يديه انبعث دخان أسود راح يدور

حولهما في دوامات..
لم يكن لوسيفر هذا الزمن..
لم يكن كبير كهنة العقارب..
بل كان شخصًا آخر قادمًا من مستقبل بعيد..
أتى ليواجه خصمًا قديمًا.. وعدوًّا لدودًا..
إنه لوسيفر الذي أصابه على نحو بالغ, وجعل أيامه محدودة في الحياة..
إنه لوسيفر.. أمير الظلام..
وأقوى سفراء الجحيم السبعة..
والخادم الأكثر ثقة لدى بلعزبول الكبير.. سيد عالم الظلام.
وأدرك شاهين الأبيض, وأفراد فريقه الثلاثة أن المعركة سوف تتخذ مسارًا جديدًا الآن.. مسارًا وحشيًّا.. وإلى أقصى حد ممكن.

***

الجزء الثاني

القرين

تمهيد

مجلس الحكماء

المكان: معبد جماعة النور المقدس.

الزمان: غير معلوم.

***

كان الصمت هو سيد الموقف في تلك القاعة الواسعة والمغلقة الأبواب في معبد جماعة النور المقدس فوق قمة الجبل الأبيض, وشعر المعلم الأكبر بالتوتر يضغط على كل ذرة في كيانه وهو جالس على ذلك المقعد الكبير ذي الظهر المرتفع ويداه متشابكتان معًا في حجره, ومن عينيه أطلت نظرة حملت الكثير من الانفعالات التي تشي بأنه يعرف تمامًا سبب هذا الاجتماع المفاجئ.

أمامه مباشرة وعلى مدرجات من رخام أبيض مصقول منحتها إضاءة المكان المنبعثة من مكان مجهول مظهرًا مخيفًا, وعليها جلس حكماء المعبد الأربعة عشر والصرامة ترتسم على ملامحهم ممتزجة بمهابة فرضتها تلك اللحى البيضاء الناعمة, والثياب الواسعة الفضفاضة, والنظرات الباردة المطلة من أعينهم التي تسلطت على المعلم الأكبر.

أربعة عشر حكيمًا كانوا يومًا ما من خيرة المقاتلين في الجماعة, وخاضوا العديد من المعارك الدامية ضد عالم الظلام وسيده بلعزبول الكبير.. بعضهم كان معلمًا أكبر للجماعة, ولكنهم جميعًا الآن حكماء يقدمون الاستشارات للمعلم الأكبر الحالي, ويتدخلون في حال خروج الأمور في المعبد عن زمام السيطرة, وهم أيضًا مسئولون عن رعاية المقاتلين الشباب والأطفال الذين ينشأون في كنف المعبد ليصبحوا يومًا ما مقاتلين في صفوفه.

- أنت تعرف بالتأكيد سبب هذا الاجتماع العاجل أيها المعلم الأكبر.
قالها ذلك الحكيم الجالس في منتصف المدرجات الرخامية بلهجة صارمة وعيناه مثبتتان على وجه المعلم الذي قال وهو يهز رأسه إيجابًا:
- يمكنني أن أخمن أيها الحكيم صابر.
نظر إليه الحكيم صابر قليلاً قبل أن يقول:
- لقد ارتكتب خطأ فادحًا عندما لجأت إلى فتح البوابات الزمنية, وأرسلت شاهين الأبيض في تلك الرحلة الخطرة مع ثلاثة من شباب مقاتلي الجماعة.
أخذ المعلم الأكبر نفسًا عميقًا ملأ به صدره, وحبسه لبعض الوقت قبل أن يخرجه في زفرة حارة ويقول:
- لقد كان الحل الوحيد لمواجهة لوسيفر أيها الحكيم صابر.
عقد الحكيم صابر حاجبين كثين وهو يقول:
- وهل انعدمت وسائل قتال أمير الظلام حتى تلجأ إلى هذا الحل الأحمق؟!
قال المعلم الأكبر:
- إن لوسيفر لم يعد ذلك الخصم التقليدي الذي اعتاد شاهين مواجهته في السابق قبل وبعد أن انضم إلى الجماعة.. لقد منحه بلعزبول الكبير قوى خارقة هذه المرة تكاد توازي قوته هو شخصيًّا.
قال حكيم آخر بلهجة مستنكرة:
- هذا مستحيل, فلو أن الأمر كما تقول, لما نجح شاهين الأبيض في هزيمته وإنقاذ صفوان من الوقوع في قبضته والعودة به إلى المعبد, وبهذا منعنا عدونا من الوصول إلى المفتاح الأسود.
نظر إليه المعلم الأكبر وهو يقول:
- الأمر أخطر مما تظن أيها الحكيم تمام. صحيح أن شاهين قد تمكن من هزيمة لوسيفر هذه المرة, وعاد بصفوان إلى هنا, ولكن الثمن كان فادحًا, وإصابته كانت بليغة للغاية.
قال الحكيم تمَّام وهو يلوح بيده أمام وجهه:

- لقد عاد شاهين دون أن يصاب بخدش واحد, فما الذي تتحدث عنه بالضبط؟

أفلتت من المعلم تنهيدة حارة, وارتسم الحزن على ملامحه المهيبة وهو يقول مجيبًا:

- إصابة شاهين لم تكن خارجية على الإطلاق. صحيح أن جسده عاد سليمًا, ولكن لوسيفر نجح في إصابة أعضائه الداخلية بشدة. هذا ما أكده لي شاهين.. وهو أيضًا أكد لي أن أيامه في الحياة باتت معدودة.

ساد الصمت للحظات قبل أن يقول المعلم الأكبر:

- الأمر خطير بالفعل يا سادة.. لقد تحول لوسيفر إلى وحش كاسر كل ما يسعى إليه هو الوصول إلى مكان المعبد, واستعادة صفوان, وبهذا يتمكن من معرفة مكان وجود المفتاح الأسود.. ولقد أكد لي شاهين أنه بقوته الحالية سيفعل هذا عاجلاً أو آجلاً, وكان لا بُدَّ من اتخاذ خطوة جريئة وسريعة تضمن لنا التخلص من أمير الظلام للأبد.

قال الحكيم صابر والتوتر يلوح على ملامحه:

- ولكن اللجوء إلى فتح البوابات الزمنية أمر بالغ الخطورة, فأنت تعرف بأن أبحاثنا عنها ليست مكتملة, ولم نتوصل حتى الآن إلى طريقة للعودة من الماضي إلى هذا الزمن.

قال المعلم الأكبر وهو يهز رأسه إيجابًا:

- هذا صحيح. وشاهين يعلم هذا الأمر كذلك, ولكنه قبل التضحية من أجل سلامة المعبد, وحتى لا ينجح عدونا في الوصول إلى المفتاح الأسود, أو الوصول إلى مكان المعبد وتدميره فوق رءوسنا جميعًا, فتكون نهاية العالم الذي نعرفه.. وللأبد.

قال الحكيم تمَّام متسائلاً:

- وماذا عن ذلك الفريق الذي اصطحبه شاهين عبر بوابات الزمن؟ هل يعلمون بأنهم قد ذهبوا في طريق بلا عودة؟

لاذ المعلم الأكبر بالصمت قليلاً قبل أن يقول ردًّا على السؤال:
- أجل. لقد صارحهم شاهين بحقيقة الأمر, ولقد قبلوا التضحية مثله من أجل عالمنا وزمننا.
تبادل الحكيم صابر نظرة سريعة مع الحكيم تمام قبل أن يقول وهو ينظر إلى المعلم الأكبر:
- ولكنك بهذا أفقدت المعبد مقاتله الأفضل منذ زمن طويل أيها المعلم الأكبر, فهل جال بخاطرك أن لوسيفر قد ينجح في الوصول إلينا في هذا الزمن قبل أن يتخلص منه شاهين في زمن ماضٍ؟ هل فكرت كيف يمكننا مواجهة هجومه علينا؟! ألم يَدُر بخاطرك بأنه قد يجلب معه سفراء الجحيم الستة لتكون نهايتنا بالفعل؟
التقى حاجبا المعلم الأكبر في تقطيبة عميقة وهو يقول:
- لم يغب هذا الأمر عن تخطيط شاهين للأمر أيها الحكيم صابر.
متسائلاً قال الحكيم صابر:
« وكيف هذا يا ترى؟!
قال المعلم الأكبر يجيبه:
- لقد كان شاهين واثقًا بأن لوسيفر سيكتشف ما يخطط له شاهين, ولهذا سيقرر ملاحقته عبر العصور حتى يمنعه من تنفيذ مهمته حفاظًا على وجوده في هذا الزمن.
لاح الخوف على جميع الوجوه في هذه اللحظة.. وخفقت القلوب في صدور الجميع بقوة.. وساد صمت رهيب له ثقل خانق على الجميع..
- سوف تكون مطاردة رهيبة عبر العصور, يا إلهي الرحيم! هل يتمكن شاهين من النجاة بحالته من مواجهة كهذه مع لوسيفر؟!
قالها الحكيم تمَّام وقد امتقعت ملامحه, فقال المعلم الأكبر:
- لهذا اصطحب معه ذلك الفريق. سوف يكونون عونه في هذه المعركة الأخيرة ضد أمير الظلام.

قال الحكيم صابر يسأله:
- وهل تظن أن ثلاثة من شباب المقاتلين سيكونون أكفاء لعدو مثل لوسيفر؟!
مجيبًا قال المعلم الأكبر بلهجة تحمل ثقة لا محدودة في شاهين الأبيض:
- لقد اختارهم شاهين بنفسه.. من بين جميع المقاتلين في المعبد وقع اختياره على هؤلاء الثلاثة.. وأنا أثق به, وبحسن اختياره.
قال الحكيم تمَّام بلهجة مرتابة:
- ولكنك قلت إنه أصيب في قتاله الأخير مع لوسيفر بإصابات داخلية بالغة, فـ..
قال المعلم الأكبر يقاطعه ونظرة غاضبة تطل من عينيه:
- لم أُشر قَطُّ إلى أنه أصيب في عقله أيها الحكيم تمام.. أنتم جميعًا تعرفون شاهين وإخلاصه لهذه الجماعة.. لم يكن بحاجة إلينا.. ولكننا احتجنا إلى من هو في مثل قدراته وإصراره.. لقد ضممناه إلينا.. ومرت سنوات أصبح فيها الأفضل والأقوى.. لا تنسوا هذا أبدًا.
نطق آخر كلمة ونهض عن مقعده وشد قامته وهو يقول:
- لقد انتهى الاجتماع يا سادة.. إلا إذا كان لديكم شيء آخر ذو نفع تريدون إضافته.
لم ينبس أحدهم ببنت شفة, فأومأ المعلم الأكبر برأسه قبل أن يغادر القاعة عبر باب جانبي صغير قاده إلى ممر طويل مضاء بمصابيح بيضاء باهتة منحت وجهه شحوب الموتى, وسار فيه قليلاً حتى بلغ بابا لإحدى الغرف دقها وهو يقول:
- دهام.
مرت لحظات قبل أن ينفتح الباب ويبدو على عتبته شاب في منتصف العقد الرابع من عمره, حليق الوجه, أصلع الرأس, قال باحترام وهو يفسح الطريق أمام المعلم الأكبر:
- سيدي.. إنه شرف عظيم أن تزورني في مخدعي, و...

قال المعلم الأكبر يقاطعه:

- لا وقت لهذا الآن. هناك مهمة تنتظرك.

قال دهام وعيناه تتألقان بحماس:

- وأنا رهن إشارتك يا سيدي.

نظر إليه المعلم الأكبر قليلاً قبل أن يقول:

- لن تكون مهمة سهلة يا دهام.. سوف تذهب إلى عالم الظلام.

لاح التوتر للحظة في عيني دهام قبل أن يستعيدا حماسهما وهو يقول شادًّا قامته:

- حياتي رهن إشارة المعبد يا سيدي.

قال المعلم الأكبر وهو يربِّت كتفه القوية:

- لا أريدك أن تضحي بحياتك.. فعودتك سالمًا من تلك المهمة ستكون ذات نفع عظيم للجماعة.

وصمت هنيهة قبل أن يقول:

- استعد للرحيل مع شروق الشمس, وتعال إلى صومعتي.

قال دهام وهو يهز رأسه إيجابًا:

- السمع والطاعة يا سيدي.

***

الورقة الأولى

لوسيفر

-١-

الظلام يحيط به من كل جانب..

إنه ليس ظلامًا عاديًّا كالذي ألفه, ولكنه ظلام من نوع آخر.. له ثقل وكيان.. له روح ونبض.. إنه ظلام حي بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ مخيفة ومروِّعة.

كانت كل ذرة من كيان لوسيفر ترتجف بقوة وكأنها ريشة في مهب رياح عاصفة هادرة.

ما هذا المكان يا ترى؟! وما الذي يفعله هنا؟!

هل نجح شاهين في قتله حقًّا بعد سنوات عديدة من المواجهة بينهما؟! وهل هذا هو عالم ما بعد الموت؟!

أراد أن يصرخ بكل قوته..

لا.. لا.. لا..

لا يريد أن يموت الآن.. ليس بعد..

لا يريد أن يغادر العالم دون أن يكتشف كل قواه الغامضة..

ليس قبل أن يصبح أقوى ويمني عدوه اللدود شاهين هزيمة منكرة..

أراد أن يصرخ ولكنه أحس بصوته يأبى أن يغادر حنجرته..

شعر بالقهر يملأ نفسه.. بالغضب يغلي في عروقه مُنَحِّيًا مشاعر الخوف التي اكتنفته منذ قليل..

لوسيفر لا يموت.. لوسيفر لا بُدَّ أن يبقى ويستمر وجوده مهما كان الثمن..

- أنت عنيد بالفعل يا لوسيفر.

تردد الصوت من حوله لتسري تلك الرجفة في جسده..

صوت بارد.. عميق.. ومخيف إلى أقصى درجة..

صوت بدا له وكأن صاحبه هو الشر نفسه..

صوت آتٍ من أعماق سحيقة غارقة في أوحال الظلام الحالك..

- لكن بداخلك طاقة رهيبة.. قوة محبوسة وراء عشرات الحواجز.. قوة لو

انطلقت ستكون مدمرة إلى أقصى الحدود.
قالها الصوت وفي هذه المرة تمكن لوسيفر من التقاط نبرة استمتاع واضحة فيه, فقال وقد وجد صوته أخيرًا:
- أين أنا؟! ومن أنت؟!
مرت لحظات من الصمت قبل أن يقول الصوت مجيبًا:
- أنت في عالم الظلام يا لوسيفر.. مملكتي الخاصة.
شعر بقلبه يخفق بقوة.. وبكل ذرة في جسده ترتجف انفعالاً..
عالم الظلام؟! أحقًّا ما سمعه؟!
لقد جاب العديد من الأماكن.. وجد في عصور مختلفة..
وفي هذه الرحلة الطويلة سمع بعض الأحاديث المتناثرة عن عالم الظلام..
وسمع أكثر عن سيده الذي كانت ترتجف الأجساد لمجرد ذكر اسمه..
- هل.. هل.. أنت..
قالها بصوت مرتجف دون أن يقوى على الإكمال, فأتاه الصوت يقول وقد تزايدت نبرة الاستمتاع فيه:
- أجل.. أنا هو يا لوسيفر.. أنا بلعزبول الكبير.. سيد عالم الظلام.
ابتلع لوسيفر ريقه بصعوبة بالغة قبل أن يقول:
- م.. ولكن.. أنت.. ما الذي سيحل بي؟
قال بلعزبول الكبير:
- هل تعتقد أنني أتيت بك إلى هنا حتى أقتلك يا لوسيفر؟ لو أردت موتك لكنت تركتك تموت متأثرًا بجراحك بعد معركتك الأخيرة مع عدوك اللدود شاهين, ولكني أتيت بك إلى هنا.. وها أنت ذا سليم معافى دون أي أثر لإصابات في جسدك.
تحسس لوسيفر جسده بتوتر قبل أن يقول متسائلاً وهو يتلفت حوله وكأنه يبحث عن بلعزبول الكبير:
- وما الذي تريده مني؟!

غاب الصوت وقتًا طويلاً هذه المرة قبل أن يقول مجيبًا:
- سوف تكون واحدًا من أتباعي يا لوسيفر.. أنت تملك قوة شر رهيبة كما أخبرتك, وعندما تصبح تابعًا لي سوف تحوز المزيد من القوة والسطوة. أليس هذا هو ما سعيت له طوال سنوات حياتك وعبر العصور التي عشت فيها؟
لمْ يَدْرِ لوسيفر لمَ شعر بالقلق يجتاحه..
هل يعرف سيد عالم الظلام سره الذي أخفاه منذ زمن طويل؟!
هل اكتشف حقًّا سر حياته الطويلة عبر العصور المختلفة؟!
- أنا عرف كل شيء عنك يا لوسيفر.
قالها بلعزبول الكبير ليرتفع حاجباه وهو يقول مستنكرًا:
- مستحيل.
ترددت ضحكة شيطانية من حوله قبل أن يقول بلعزبول الكبير:
- أنت تستهين بقدرات سيد عالم الظلام.. أليس كذلك؟
ابتلع لوسيفر ريقه بصوت مسموع قبل أن يقول:
- نعم ليس كذلك.. ولكن...
قال بلعزبول الكبير يقاطعه:
- ولكنك لم تكن تتخيل أن يكتشف أحد سرك الذي أخفيته عن الجميع, وقبلت من أجله أن تضحي بأعز ما تملك.. بكل من أحببتهم يومًا ما.. بكل شيء يربطك بالماضي.. ولكني أعرف كل شيء عنك.. لقد راقبتك منذ بدأت رحلتك الطويلة عبر العصور.. راقبت صراعك مع شاهين.. أعرف أنكما تتشاركان السر ذاته يا لوسيفر.. أعرف كيف بدأ صراعكما الطويل.. وأعرف كذلك أنكما لم تكونا عدوين في الماضي. أعلن ولاءك لي الآن.. وأنا سأمنحك قوة أضعاف ما تملكه من قوة.. سوف أجعلك واحدًا من سفراء الجحيم في عالم الظلام.. سأمنحك سلطة بلا حدود.. سوف أساعدك في القضاء على عدوك شاهين.. فقط اركع أمامي وأعلن ولاءك التام وغير المشروط.
شعر لوسيفر بالعديد من المشاعر والانفعالات تعصف بكيانه في هذه

اللحظة..
إنه الآن على أعتاب مرحلة جديدة من حياته الطويلة..
مرت سنوات عمره أمام عينيه كشريط متتابع..
العديد من الذكريات..
العديد من الوجوه المظلمة والمضيئة..
معارك رهيبة عبر العصور.. مئات الجثث افترشت طريقه الشائك نحو القوة المطلقة..
وها هو الآن في عالم الظلام بعد معركة كادت تودي بحياته..
لقد أنقذه بلعزبول الكبير سيد عالم الظلام..
يريده أن يكون تابعًا له..
سوف يمنحه المزيد من القوة على قوته التي يملكها..
سوف يساعده على التخلص من شاهين.. وللأبد..
إنها فرصته الذهبية.. ولن يتركها تفلت منه أبدًا..
سيفعل أي شيء من أجل القوة المطلقة التي حلم بها طويلاً..
- قرارك يا لوسيفر.. قرارك أيها النجم المضيء.. يا حامل الضياء.. أنت جالب الفجر الجديد بهذا العالم.
قالها بلعزبول الكبير بصوت أحس به لوسيفر يسري في الظلام المحيط به.. صوت راح يتردد وكأنه آتٍ من كل مكان..
- أنا رهن إشارتك.. يا مولاي بلعزبول الكبير.
قالها لوسيفر وهو يجثو على ركبتيه ويضم قبضته إلى صدره..
وفجأة.. سرت في جسده برودة رهيبة..
ورأى أمامه يدًا تمتد من قلب الظلام وعليها استقرت القلادة..
قلادة ذهبية يعرفها جيدًا..
إنها القلادة التي فقدها في معركته الأخيرة ضد شاهين الأبيض..
إنها هي..

- لا تفقدها مرة أخرى.

قالها بلعزبول بصوت جذل..

- مولاي.

قالها لوسيفر وهو يمد يده ليتناول القلادة ويضعها حول عنقه, وهو يشعر بالارتياح..

فلو فقد هذه القلادة.. لضاع كل شيء.. وإلى الأبد..

- والآن.. أنت واحد من سفراء الجحيم يا لوسيفر.. انظر وراءك.. لقد أتى السفراء ليرحبوا بك بينهم.

***

صومعة المعلم الأكبر كما هي لا تزال غارقة في نصف ظلام مهيب, وتعبق برائحة بخور قوية, وما زال أثاثها بسيطًا لم يتغير. على مقعده كان المعلم الأكبر جالسًا وأمارات تفكير عميق وهمٍّ كبير بادية على ملامحه المهيبة, وأمامه جلس دهام على المقعد المقابل, بجسده القوي, وقامته الممشوقة, وعينيه المتقدتين حيوية ونشاطًا.

نظر إليه المعلم الأكبر وتأمل زيَّه القتالي لبعض الوقت قبل أن يقول بعد أن أفلتت منه تنهيدة حارة:

- أنت تدرك خطورة هذه المهمة يا دهام.. أليس كذلك؟

هازًّا رأسه إيجابًا قال المقاتل الشاب مجيبًا:

- بلى يا سيدي.

أومأ المعلم الأكبر برأسه إيجابًا قبل أن يقول:

- سوف تذهب إلى عالم الظلام للمرة الأولى في حياتك.. الأمر لن يكون هينًا, وستعترضك مخاطر كثيرة, وقد تفقد حياتك أو تبقى للأبد أسيرًا في ذلك العالم المخيف.

لم يظهر الخوف أو التوتر هذه المرة على وجه دهام أو في نظراته وهو يقول:

- أنا مستعد لجميع الاحتمالات.. سوف أقاتل أي مخلوق يعترضني في عالم الظلام حتى لو كان واحدًا من سفراء الجحيم السبعة أو حتى بلعزبول الكبير بنفسه.

ارتسمت ابتسامة شاحبة على شفتي المعلم الأكبر وهو يقول مُرَبِّتًا ذراع الشاب:

- كلا يا بني.. ينبغي أن لا تخوض أي قتال في عالم الظلام, فمهمتك ستكون لجمع المعلومات وحسب.. كل ما يمكنك معرفته عن تحركات سفراء الجحيم ونياتهم في الأيام المقبلة تجاه الجماعة.. لا قتال.. لا تورط نفسك في أي أمر خطير ما لم تكن مضطرًا لهذا. هل تفهمني جيدًا يا دهام؟

نظر إليه دهام قليلاً قبل أن ينهض وهو يقول:
- بالتأكيد يا سيدي.
نهض المعلم بدوره, وغادر الاثنان الصومعة إلى شروق الشمس, وتلك الزرقة الشاحبة التي كست السماء, وقال المعلم وهما يسيران نحو بوابة المعبد الرئيسية:
- سوف أمهلك أسبوعًا واحدًا فقط لتذهب وتعود من عالم الظلام.. بعد انقضاء الأسبوع سأعتبرك فشلت في مهمتك, وأنك قُتلت أو وقعت أسيرًا في قبضة مخلوقات عالم الظلام.
سرت رجفة باردة في جسد دهام وهو يقول:
- سوف أعود بإذن الله بالمعلومات المطلوبة يا سيدي.. ثق بي.
توقف المعلم عن السير ونظر إلى دهام وهو يقول:
- أنا أثق بك بالفعل يا دهام, وإلا ما اخترتك لهذه المهمة الخطيرة. لو نجحت فسنتمكن من تجهيز أنفسنا لأي هجوم مفاجئ على المعبد من قِبَلِ عالم الظلام.
في هذه اللحظة بدا توتر على وجه دهام وهو يقول متسائلاً:
- ولكن.. هل بلعزبول الكبير قادر حقًّا على كشف مكان المعبد السري يا سيدي؟! مع كل الحماية التي تحيط به؟!
أخذ المعلم الأكبر نفسًا عميقًا ملأ به صدره, وحبسه قليلاً قبل أن يخرجه في زفرة حملت الكثير مما جاش به صدره من انفعالات دفينة وقال مجيبًا:
- أجل يا دهام. عدونا أصبح قويًّا بشكل مخيف, ولو أن لدينا أي فرصة للصمود والاستمرار في مقاومته, فعلينا أن نكون مستعدين بشكل كافٍ, والمعلومات هي سلاحنا الأقوى والأهم في هذه الحرب الشرسة من أجل الحفاظ على عالمنا من الضياع.. أو على الأقل.. حماية ما بقي منه من الضياع في دوامات عالم الظلام.

-٣-

المكان: بابل القديمة.

الزمان: عهد الأمير إيشارا.

***

انهض أيها الراقد على سرير الموت الأسود..

تعالَ إلى هنا يا من اتشحت روحه بعباءة الظلام السرمدية..

***

كان الموقف حَرِجًا وينذر بالخطورة الشديدة في تلك القاعة الواسعة تحت القبة الذهبية في قمة برج بابل..

الأمير إيشارا على عرشه والذهول مرتسم على ملامحه كأقوى ما يكون..

الأميرة سيدوري وقد تراجعت للوراء والرعب بادٍ على وجهها الجميل..

في منتصف القاعة تمامًا كان المشهد المثير للخوف والفزع في وقت واحد..

لوسيفر هذا العصر.. كبير كهنة العقارب وقد أحاط به فرسان الأمير إيشارا إحاطة السوار بالمعصم, والدهشة بادية على وجهه الشاحب وهو ينظر إلى نسخة منه وقد تجسدت في المكان بوهج أحمر مخيف.. نسخة كانت تشبهه في كل شيء.. نسخة متطابقة معه.. ولكنها بدت لعينيه أكثر قوة.. وأكثر شرًّا.. أكثر مما يمكنه أن يتخيل بكثير.. ولم يكن هذا هو المثير للدهشة والخوف والفزع وحسب.. فقريبًا من لوسيفر القادم من المستقبل وقفت نسختان من شاهين.. إحداهما تحمل اسم شاهين الأبيض القادم من المستقبل.. المقاتل في جماعة النور المقدس.. والأخرى أكثر شبابًا وحيوية.. شاهين هذا الزمن.. شاهين الذي ينتمي إلى بابل القديمة.

كان بقية النبلاء يتابعون ما يحدث وقد ابتلع كل واحد منهم لسانه, واتسعت عيناه وهو ينظر إلى هذا الأمر الخارق لأي مألوف أو اعتيادي في مدينتهم العريقة. حتى فرسان بابل الأشداء بدا التوتر الشديد على ملامحهم وهو ينقلون أبصارهم بين لوسيفر كبير كهنة العقارب.. صديق أميرهم منذ

سنوات، وذلك اللوسيفر الآخر الواقف في منتصف القاعة, وكل شبر من ملامحه ينطق بغضب رهيب ومخيف.

- من أنت؟

قالها لوسيفر هذا الزمن وهو يعقد حاجبيه, ويده تمتد إلى القلادة الذهبية حول عنقه, فالتفت إليه قرينه القادم من المستقبل.. لوسيفر أمير الظلام.. وهو يقول بصوته المخيف:

- أنا أنت يا لوسيفر.

ازداد انعقاد حاجبي لوسيفر كبير كهنة العقارب وهو يقول:

- ولكن كيف؟! ومن أين أتيت؟!

نظر إليه لوسيفر أمير الظلام بعينين مشتعلتين, في حين قال شاهين هذا الزمن وهو يمد يده إلى حزامه:

- إنه قرين مستقبلي لك يا لوسيفر.. مثل قريني المستقبلي الذي تراه واقفًا أمامك الآن.. لقد جاء الاثنان من مستقبل بعيد.. مستقبلنا.

وصمت هنيهة قبل أن يقول بلهجة ساخرة:

- وأن كان قرينك يبدو أكثر قوة وشبابًا مما يبدو قريني المستقبلي.

نظر إليه شاهين الأبيض ببرود, في حين بدا الاستنكار على وجه أفراد الفريق الثلاثة..

كيف يجد هذا الرجل قدرة على إطلاق مزحة في مثل هذا الموقف المعقد؟!

- ليتوقف هذا العبث حالاً.

هتف بها الأمير إيشارا بصوت مرتجف وهو يحاول النهوض عن عرشه, ولكن لوسيفر أمير الظلام نظر إليه, وتألقت عيناه بذلك الوهج الناري في أعماقهما وهو يقول مادًّا يده نحو الأمير الشاب:

- اصمت.

وعلى الفور اتسعت عينا الأمير إيشارا, وراحت ملامحه تتقلص في ألم شديد قبل أن يسقط على وجهه دون حراك, وخيط رفيع من الدم يسيل أمام

وجهه, فهتفت الأميرة سيدوري بارتياع:
- إيشارا.
نظر إليها لوسيفر أمير الظلام ورفع يده, ولكن شاهين الأبيض هتف فجأة:
- كفى أيها اللعين.. ليكن قتالك ضدي أنا.
التفت إليه لوسيفر وقال وابتسامة ساخرة تتراقص على شفتيه الرفيعتين:
- وهل ترى نفسك ندًّا لي حقًّا يا شاهين؟ لا أظنك نسيت معركتنا الأخيرة, أو إصاباتك البالغة. أنا أعرف أنك لا تملك الكثير لتعيشه, ولهذا لجأت إلى هذه الخدعة للقضاء علي.
وتلاشت ابتسامته وهو يقول مستعيدًا غضبه ولهجته المخيفة:
- هل تظن أنك ستتمكن من هزيمتي مع هؤلاء؟!
هتف بالكلمة الأخيرة وهو يشير إلى أفراد الفريق الثلاثة, وقد ارتسم التوتر على ملامح سعد وأريج, في حين استل سليم سيفه وهو يهتف بعصبية:
- لا تقلل من شأننا أيها اللعين.
التفت إليه شاهين الأبيض وهو يقول بلهجة آمرة:
- كلا يا سليم.. ليس الآن.
ولكن سليم لم يكن يسمعه وهو يرفع سيفه القصير, وقد تألق نصله بوهج أبيض باهت, وهتف وهو يمسك المقبض بكلتا يديه:
- لن أسمح لك أن تتبجح على هذا النحو.. لقد أتينا إلى هنا للقضاء عليك.. وسوف نفعل هذا حتى لو كانت حياتنا هي الثمن.
قالها وهجم على لوسيفر مطلقًا صيحة قتالية ترددت في جنبات القاعة, وتوترت ملامح شاهين الأبيض وهو يرى لوسيفر واقفًا في مكانه لا يتحرك, وابتسامته الساخرة ترتسم من جديد على شفتيه, فتحرك شاهين بسرعة مذهلة نحو سليم وأحاط بوسطه وقفز به جانبًا ليتفادى خيطًا من الدخان الأسود تجسد في صورة أفعى عملاقة كادت تنال من سليم.
ما إن استقر جسد شاهين الأبيض وسليم على الأرض حتى هتف الأول وهو

ينظر نحو قرينه في هذا الزمن:
- شاهين.. هاجم قرينه حالاً.
وعلى الفور انتزع شاهين هذا الزمن من حزامه كرة زجاجية صغيرة, وبسرعة مذهلة أيضًا اندفع نحو لوسيفر كاهن العقارب, وألقى الكرة الزجاجية أمامه, وندت عن لوسيفر أمير الظلام زمجرة مخيفة ورفع يده نحو شاهين هذا الزمن, ولكن وهجًا أبيض عنيفًا غشي المكان كله, وسمع الجميع صرخة رجل بدا وكأنه يحترق.
مر وقت ليس بالطويل قبل أن يتلاشى الوهج الأبيض.. ورأى الجميع فرسان الأمير إيشارا وقد سقطوا على الأرض فاقدي الوعي وقد أصابتهم حروق بسيطة بدا وكأنها بسبب ذلك الوهج العنيف, وأخذ النبلاء يفركون أعينهم بقوة وكأنهم يتأكدون من قدرتهم على الرؤية مرة أخرى.
- هل.. هل.. انتهى الأمر؟!
قالتها أريج وعيناها متسعتان عن آخرهما عندما لم يظهر أي أثر للوسيفر أمير الظلام, أو قرينه في هذا الزمن. التفت إليها المعلم شاهين الأبيض وهو يقول:
- كلا.. لقد هرب لوسيفر وقرينه في هذا الزمن.. كرة الوهج الأبيض سلاح قوي, لقد أصابت لوسيفر كاهن العقارب بشدة, مما دفع أمير الظلام لأن يحمله ويهربا بعيدًا.. فأي إصابة للقرين في هذا الزمن قادرة على إلحاق الأذى بنسخته المستقبلية. ولهذا فضل عدونا اللدود أن ينسحب حتى لا يخاطر بموت قرينه هنا.
بدا الإحباط على وجه سعد وهو يقول:
- ما زالت المعركة مستمرة إذًا.
نظر إليه المعلم شاهين الأبيض وهو يقول:
- أجل.. ولكنها ستكون أكثر خطورة في المرحلة المقبلة.. لوسيفر القادم من زمننا لن يترك قرينه في هذا الزمن هدفًا سهلاً يمكننا اصطياده.

قالت أريج متسائلة:

- وكيف سنصل إليه إذًا أيها المعلم؟

زفر شاهين الأبيض وهو يقول:

- في هذا الزمن؟ سيكون الأمر في حكم المستحيل بالطبع.

نظر إليه قرينه في هذا الزمن وهو يقول:

- وما الذي ستفعله إذًا؟

التفت إليه شاهين الأبيض وهو يقول مجيبًا:

- نستنزف قوة لوسيفر أمير الظلام قبل أن نتمكن من اصطياد قرين له في أي زمن ماضٍ.

قال سليم يسأله بدهشة وهو ينهض:

- كيف سنفعل هذا أيها المعلم؟!

أخذ المعلم شاهين الأبيض نفسًا عميقًا ملأ به صدره قبل أن يقول مجيبًا:

- لدي خطة.

وساد بعدها صمت رهيب.. صمت يحمل رائحة الخطر.. كل الخطر!!

***

الورقة الثانية

الخطة

-١-

على الرغم من شجاعته, واستعداده الفعلي ليضحي بحياته من أجل الجماعة في حربها ضد عالم الظلام وسيده بلعزبول الكبير, ومن ورائه سفراء الجحيم, فإن دهام لم يتمكن من السيطرة على ذلك التوتر الرهيب الذي عصف بنفسه وهو واقف على قمة ذلك المنحدر الصخري ينظر بعينين ملؤهما التوتر والاضطراب إلى ذلك الوادي الكبير بالأسفل وعلى جانبيه امتدت جبال كئيبة ذات حجارة سوداء, ومن فوقه سماء تلبدت بالغيوم الداكنة التي راحت خيوط من البرق تتألق فيها بين الحين والآخر.

وادي الغيلان.. المدخل الوحيد إلى عالم الظلام.. تسكنه قبائل من الغيلان المتوحشة, والمتعطشة دومًا لدماء البشر.. قبائل لا تعرف نظامًا أو قائدًا واحدًا, ولكنها تدين بالولاء لشخص واحد فقط.. بلعزبول الكبير سيد عالم الظلام.

فإذا أراد دهام أن يصل إلى عالم الظلام ليجمع المعلومات التي طلبها منه المعلم الأكبر, فإن عليه أن يجتاز هذا الوادي المخيف, ويواجه الغيلان في عقر دارها ليتمكن من عبور البوابة إلى هدفه.

ولكن يبقى التساؤل: هل سينجح من عبور الوادي بسلام؟

من المؤكد أن الغيلان ستكتشف وجوده, ولن تترك فرصة مرور دم بشري طازج من بينها تفلت من بين أيديها.. فهل سيتمكن من التغلب عليها وحده؟!

تحسس مقبض سيفه القصير المتدلي من حزام زيه القتالي, ونظر إلى نصله الذي تألق بذلك الوهج الأبيض الباهت, والتقى حاجباه وهو يقول بصوت خافت:

- لا جدوى من البقاء هنا والتفكير كثيرًا. عليك أن تعبر الوادي.. إنه المدخل الوحيد لعالم الظلام.

أخذ نفسًا عميقًا من الهواء المشبع برائحة كريهة خانقة, وزفر بقوة قبل أن

يبدأ هبوط المنحدر ببطء حتى لا تزل قدماه فيسقط ويدق عنقه قبل أن تبدأ مهمته.

بلغ الوادي بعد ساعة من الهبوط, ووقف في مكانه يلهث وقد تصبب العرق على وجهه غزيرًا, فرفع يده يمسحه قبل أن يستل سيفه ويتلفت حوله, والوهج الأبيض يزداد قوة ويحيط به في مظهر رائع.

- سوف يحل الظلام قريبًا.

قالها وهو يسدد نظرة فاحصة إلى السماء الملبدة بالغيوم, وضيق عينيه عندما شعر بقطرة ماء على وجهه, فابتلع ريقه وهو يقول:

- ستمطر كذلك.. من الحماقة والجنون أن أحاول عبور الوادي مع المطر والظلام.. سوف أكون فريسة سهلة للغيلان لو فعلت هذا.. لا بُدَّ أن أجد مكانًا مناسبًا لقضاء هذه الليلة.

بحث بعينيه قليلاً قبل أن يعثر على تلك الصخرة العملاقة التي تؤوي تحتها تجويفًا يسع لرجل في مثل قوة جسده, فاتجه إليها ودس نفسه في التجويف, ووضع سيفه على فخذه وراح يراقب الطريق أمامه بعينين لا يغفلان, ويده قابضة بشدة على مقبض سيفه, وكل عضلة في جسده مشدودة بسبب التوتر والانفعال, وبات قادرًا على سماع دقات قلبه المتسارعة.

مرت ثلاث ساعات قبل أن يحل ظلام تام, فضوء القمر بدا عاجزًا عن اختراق الغيوم الداكنة, وراحت الأمطار تهطل بغزارة شديدة لتتحول أرضية الوادي إلى أوحال لم يعرف كيف سيتمكن من العبور خلالها عندما يتوقف المطر, ولم يكن له من عون في هذه الليلة من ضوء إلا ضوء سيفه الأبيض الذي كشف له مساحة معقولة تحيط بالصخرة, وتركزت عيناه على إحدى برك الوحل التي تألقت مياهها السوداء على نحو مخيف بسبب الوهج المنبعث من السيف في يده, وراحت فقاعات تتكون على سطحها, وسرت في جسده رجفة أكثر من مرة عندما رأى تلك الأشياء تتقافز بسرعة قبل أن تختفي تحت المياه الموحلة من جديد, و..

- آآآووووووو.. خا خا خا.. جززززز.

انتفض واقفًا خارج التجويف لتغرقه مياه المطر, وتنغرس قدماه في الأوحال, ورفع سيفه عاليًا وهو يتلفت حوله بحثًا عن مصدر ذلك الصوت..

إنها الغيلان دون شك.. إنها قريبة منه للغاية.. لقد اشتمت رائحة دمائه الحارة.. وها هي قد أتت لتبدأ حفل الصيد.

شعر لحظتها بالخوف.. وراحت عيناه يدوران في محجريهما.. وتسارعت دقات قلبه على نحو جنوني..

- أنا أثق بك بالفعل يا دهام, وإلا ما اخترتك لهذه المهمة الخطيرة. لو نجحت فسنتمكن من تجهيز أنفسنا لأي هجوم مفاجئ على المعبد من قِبَلِ عالم الظلام.

لَمْ يَدْرِ لِمَ ترددت كلمات المعلم الأكبر له قبل أن يغادر المعبد في ذهنه في هذه اللحظة بالذات. المعلم الأكبر اختاره من بين الكثيرين من مقاتلي المعبد للقيام بهذه المهمة.

- أنا أثق بك بالفعل يا دهام..

إنه يثق به.. إنه يثق بقدرته على الوصول إلى عالم الظلام رغم جميع الصعوبات والمخاطر التي قد تعترض طريقه في هذه الرحلة..

-وإلا ما اخترتك لهذه المهمة الخطيرة..

اختارني أنا فقط.. اختارني أنا فقط.. أنا فقط.. أنا.. أنا.

- لو نجحت فسنتمكن من تجهيز أنفسنا لأي هجوم مفاجئ على المعبد من قِبَلِ عالم الظلام..

لن أفشل في هذه المهمة.. ولن أخيب ظن المعلم الأكبر أبدًا.. سوف أنجح في الوصول إلى عالم الظلام.. وسوف أحصل على المعلومات التي تحتاج الجماعة إليها..

- اللعنة عليكم أيها الأوغاد.

هتف بها دهام وهو يشد قامته ويرفع سيفه عاليًا ليزداد الوهج المنبعث

من نصله قوة وتألقًا..
- آآوووووو.. خا خا خا.. جززززز.
كانت الأصوات أكثر قربًا هذه المرة.. وتمكن في وهج سيفه من رؤية تلك الأجساد وهي تنتقل من بركة موحلة إلى أخرى ليسمع صوت تناثر المياه من حوله..
التفت بسرعة إلى تلك البركة عن يمينه ورفع سيفه في اللحظة المناسبة ليغوص نصله القصير في ذلك الجسد الضخم, وتعالت فوق هدير الأمطار صرخة رفيعة, وشعر دهام بدماء سوداء لزجة تسيل على يده, فسحب سيف بسرعة ليهوي الجسد في إحدى البرك ويغوص فيها ببطء.
تراجع بسرعة ليجعل ظهره للصخرة التي كان يحتمي بها, أمسك سيفه بكلتا يديه, ورفعه للأعلى ليزداد توهجًا ويضيء مساحة كبيرة أمامه لتتسع عيناه عن آخرهما..
من البرك الموحلة راحت تلك الأجساد تنهض ببطء.. أجساد ضخمة وقوية.. أجساد مغطاة بشعر كثيف, وترتدي أسمالاً أشبه بثياب البشر.. أجساد لها عيون حمراء كالدم, وأنياب مخيفة تدلت من أفواهها وكادت تبلغ صدورها طولاً..
الغيلان..
نظرت إليه هذه الوحوش قليلاً قبل أن تنقض جميعها على البقعة التي سقط فيها واحد منها صريعًا منذ لحظات.. وكرجل واحد انقضت على المياه الموحلة واستخرجت الجسد منها..
وشعر دهام بمعدته تتقلص بشدة عندما رآها تمزق جثة واحد منها وتلتهمها في مشهد يشيب له الولدان, وتنهار أعصاب أشد الرجال قوة وصلابة.
سيطر دهام على انفعاله بصعوبة بالغة, وهو ينظر إلى هذه الوحوش وقد انشغلت بالتهام جثة واحد منها.. إنها فرصته ليبدأ هو بالهجوم عليها.. راح يعدها بعينيه.. عشرة منها.. ولكن ينبغي أن لا ينخدع.. فقد يكون هناك

المزيد من هذه الوحوش..

ولكن لو تمكن من القضاء على هؤلاء العشرة, فسوف ينجح في تعطيل الآخرين عن اللحاق به لبعض الوقت.. ولكن.. هل سيتمكن من القضاء على عشرة غيلان بهذه القوة حقًّا؟! قد ينجح في قتل واحد.. اثنين.. أو حتى ثلاثة منها قبل أن تنقضَّ عليه الأخرى وتمزقه إرَبًا, وتكون دماؤه خمر نصرها اليوم, ولحمه البشري وليمة لاحتفالها..

- دهام.. أنا أثق بك بالفعل..

شعر بالأدرينالين يتدفق بقوة في عروقه.. وتألقت عيناه بقوة وهو يقول:

- لا جدوى من الوقوف هكذا بلا حراك.

وعلى الفور قفز للأمام برشاقة، وما إن استقرت قدماه على الأرض حتى اندفع كالسهم نحو الغيلان التي كانت لا تزال منهمكة في التهام زميلها.. ودون أن يطلق صيحة قتالية واحدة, رغم توقه الشديد لأن يفعل هذا!

***

-٢-

- هل سيكون ولدي بخير؟!

قالتها الأميرة سيدوري بلهفة أُم ينفطر قلبها وهي تنظر إلى ابنها الذي استعاد وعيه بالفعل, وأن بدا للجميع شاردًا واجمًا, تحدق عيناه في المجهول, ومنهما أطلت نظرة تؤكد أنه موجود معهم بجسده فقط.

كان الجميع.. شاهين الأبيض, وقرينه في هذا الزمن, وأفراد الفريق الثلاثة, والأميرة سيدوري في مخدع ملحق بالقاعة تحت القبة الذهبية في قمة برج بابل, وقد أغلقت أبوابه ونوافذه بإحكام شديد, وتم صرف جميع النبلاء, وإخلاء الساحة الواسعة المحيطة بالبرج, وانتشر فيها عدد كبير من فرسان بابل وجنودها.

- لقد كان واقعًا تحت سيطرة عقلية رهيبة من قِبَلِ لوسيفر كاهن العقارب.

قالها قرين شاهين الأبيض في هذا الزمن وهو ينظر باهتمام إلى وجه الأمير إيشارا الشارد, فنقلت الأميرة سيدوري بصرها برهبة بينه وبين قرينه المستقبلي, وابتلعت ريقها بصوت مسموع قبل أن تقول وهي تطرد الفكرة من رأسها:

- لا أفهم ما تقول.. ولكن.. هل سيكون إيشارا بخير؟ هل سيبقى على هذه الحالة للأبد؟

نظر إليها شاهين هذا الزمن قبل أن يهز رأسه بأسى ويلتفت إلى قرينه المستقبلي, فقال شاهين الأبيض وهو يسير نحو الأميرة:

- لا تقلقي يا مولاتي.. سوف يكون بخير.

قالها وجثا على ركبتيه أمام الأمير الشاب, ومد يديه ليحيط بهما جبهته, وأغلق عينيه وهو يهمس بشيء ما..

وأمام عيني قرينه هنا, والأميرة سيدوري المذهولة، توهجت يداه بذلك البريق الأبيض, واتسعت عينا الأمير إيشارا وتقلصت ملامحه وبدا وكأنه يعاني ألمًا رهيبًا في هذه اللحظة.

لم يكن المعلم شاهين الأبيض يشعر بمن حوله في هذه اللحظة.. كان يغوص بعقله في رأس الأمير الشاب محاولاً إزالة آخر آثار للسيطرة العقلية التي فرضها عليه لوسيفر في هذا الزمن..

انطلق عقله في ممرات سوداء.. ممرات أحس فيها بكل مخاوفه تنبعث فجأة..

ركز كل قواه على تجاهل هذه الفخاخ التي زرعها لوسيفر في عقل الأمير الشاب.. ظل يتوغل.. ويتوغل.. حتى بلغ ذلك الحاجز الرهيب.. حاجز من طاقة سلبية.. طاقة قادرة على إلغاء قدرة العقل على التفكير السليم..

هذه هي الطريقة التي استخدمها لوسيفر هذا الزمن ليجعل الأمير إيشارا طوع بنانه..

لم يقاوم أن يسخر من هذه الوسيلة البدائية.. فليس من الصعوبة أن يهدم هذا الحاجز بكل ما يمكله من علوم مستقبلية.. قد يعجز قرينه في هذا الزمن عن التعامل مع أمر كهذا, ولكن كل ما هو بحاجة إليه هو أن يبث قدرًا من الطاقة الإيجابية لتمتص هذا الحاجز السلبي من الطاقة, فيستعيد الأمير الشاب عقله مرة أخرى.

- ما الذي يحدث؟! ما الذي يفعله بولدي؟!

هتفت بها الأميرة سيدوري وهي ترى الوهج يزداد حول رأس ابنها, وخيل إليها وكأن الوهج ينبعث من كل شبر فيه.. وتقلصت ملامحه أكثر.. وانفرجت شفتاه ليطلق صرخة رهيبة رددتها جدران المخدع الكبير قبل أن ينهار على الفور فاقدًا الوعي, فسحب شاهين الأبيض يديه ليتلاشى الوهج, وفتح عينيه وهو يقول ناظرًا إلى الأميرة سيدوري:

- لقد انتهى الأمر الآن.

اندفعت الأميرة نحو ابنها ودموعها تغرق وجهها, في حين قال القرين في هذا الزمن متسائلاً:

- ما الذي تقصده؟!

نظر إليه شاهين الأبيض وهو يقول مجيبًا:
- لقد أنهيت تلك السيطرة العقلية التي زرعها لوسيفر. عندما يستعيد وعيه سيكون بخير ومتحكمًا في عقله تمامًا.
نظر إليه القرين بانبهار وهو يقول متسائلاً:
- كيف فعلتها؟!
ابتسمت أريج وهي تقول:
- لا تنسَ أننا قادمون من زمن يسبق هذا الزمن أيها المعلم شاهين.
التقى حاجباه عندما نادته بهذا اللقب, فربَّت المعلم شاهين الأبيض على كتفه وهو يقول مبتسمًا بدوره:
- لا تشغل بالك كثيرًا بهذه الأمور.. سوف يأتي زمن تتعلم فيه كل شيء أعرفه الآن.
تبادل الاثنان نظرة طويلة هذه المرة..وأحس شاهين هذا الزمن بأن قرينه المستقبلي يريد أن يخبره بأمور كثيرة..ولم يدر لم شعر بذلك الاحساس الغريب يعتريه بأنه من المفترض أن يعرف أمورا كثيرة عن حياته السابقة, ولكن عقله بدا له حصنا منيعا حول هذه الأسرار من الماضي, فزفر بقوة وهو يهز رأسه ايجابا, فقال شاهين الأبيض وقد تلاشت ابتسامته وبدت لهجته جادة:

- والآن.. نحن بحاجة إلى مناقشة الخطة التي أخبرتك بها من قبل.
أومأ القرين برأسه وهو يقول:
- خطة استنزاف قوة لوسيفر القادم من زمنك؟
هازًّا رأسه إيجابًا قال المعلم شاهين الأبيض:
- أجل, فكما أخبرتك من قبل سيكون من المستحيل الإيقاع به في هذا الزمن.
قال سعد يسأله:
- وكيف سنفعل هذا أيها المعلم؟!
مجيبًا قال المعلم شاهين الأبيض وهو ينظر إليه:

- سوف نستخدم مطاردته لنا عبر الزمن لتكون السلاح الذي يستنزف طاقته.
قال سليم وحاجباه يرتفعان في دهشة:
- وكيف سنفعل؟!
أخذ المعلم شاهين الأبيض نفسًا عميقًا, وأخرجه في زفرة قوية قبل أن ينظر إلى الأميرة سيدوري وهو يقول:
- دعونا نترك هذا المخدع الآن, ونذهب إلى مكان آخر يمكننا أن نتحدث فيه بحرية.
تبادل أفراد الفريق نظرة سريعة, في حين قال القرين:
- يمكننا أن نعود إلى قاعة العرش بالبرج إذا أردت.. المكان هناك مُؤَمَّنٌ على نحو جيد, وفرسان بابل الأشداء يحيطون بالبرج ولن يسمحوا لمخلوق بأن يقترب منه.
أومأ المعلم شاهين الأبيض برأسه إيجابًا وهو يقول:
- هذا أفضل بالتأكيد.

***

-٣-

مالت الشمس للغروب, و تلطخت السماء بلون أرجواني داكن, واتخذت السحب لونًا داميًا وتشكيلات بديعة جعلت سعد ينظر إليها بافتتان وهو يقول بلهجة منبهرة:

- يا للروعة.. لم أرَ هذا المشهد في حياتي من قبل.

التقى حاجبا شاهين القرين وهو يقول متعجبًا:

- تتحدث وكأنك آتٍ من مكان لا ترون فيه شمسًا يا فتى!

لم يعره سعد أي اهتمام في حين قالت أريج مبتسمة:

- الأمر قريب من هذا أيها المعلم.. فمن حيث أتينا لم نكن...

قال المعلم شاهين الأبيض يقاطعها بلهجة حاسمة:

- كفى يا أريج.

تلاشت ابتسامتها وبدا الاضطراب على ملامحها الجميلة, فقال القرين وهو يشبك ذراعيه أمام صدره:

- ألا تثق بي يا قريني المستقبلي؟

نظر إليه شاهين الأبيض قليلاً قبل أن يقول مجيبًا:
- الأمر لا يتعلق بالثقة يا قرين الماضي, ولكن الانتقال إلى الماضي له قيود عديدة, ولا بُدَّ من الالتزام بها مهما حدث.
أومأ القرين برأسه إيجابًا وهو يقول:
- أستطيع أن أفهم ما تقول. على الرغم من تلك الهوة الزمنية التي تفصل بيننا, فإن أسلوب تفكيرنا واحد.
وهز كتفيه وهو يقول باستمتاع:
- إنه لأمر رائع أن تقابل نفسك القادمة من المستقبل, وترى كيف أثر عليها مرور السنوات الطويلة.
عقد سليم حاجبيه وهو ينظر إلى القرين ومن ثم إلى المعلم شاهين الأبيض, وفي عقله راحت العديد من الأفكار والتساؤلات تدور كدوامات عاصفة وهادرة.. صحيح أنه كان من أشد المعجبين بالمعلم شاهين الأبيض في سنوات طفولته وبدايات شبابه.. وأنه كان يعتبر نفسه من المحظوظين من بين جميع شباب الجماعة عندما تم اختياره ليكون خادمًا قريبًا من المعلم الأكبر, وبهذا كان يحظى بالعديد من الفرص لمقابلة المعلم شاهين الأبيض والتحدث إليه في كثير من الأمور.. حتى اختياره ليكون واحدًا من أفراد هذا الفريق كان يعتبره شرفًا كبيرًا، رغم تحفظه على اختيار المعلم لكل من سعد وأريج بالذات لمثل هذه المهمة الخطيرة.. ولكن الأحداث الأخيرة منذ وصولهم إلى بابل حملت الكثير من المفاجآت عن شخصية المعلم.. ربما لم يخبرهم بأي شيء, ولكن هناك الكثير مما يخفيه المعلم عنهم..
- والآن.. حدثنا عن خطتك.
انتزعته عبارة شاهين القرين وهو ينظر باهتمام إلى المعلم شاهين الأبيض, فزفر بقوة وهو يحاول أن يطرد هذه الأفكار العاصفة من رأسه.. في هذا الوقت على الأقل!
- في البداية أحب أن أوضح أمرًا خاصًا بالسفر عبر بوابات الزمن والعودة

إلى الماضي.
قالها المعلم شاهين الأبيض, وصمت هنيهة قبل أن يقول مكملاً:
- قد يبدوالأمر صعبًا على فهمك يا قريني العزيز, ولكني سأحاول أن أكون مختصرًا ومحدَّدًا بهذا الصدد. إن السفر عبر بوابات الزمن أمر معقد للغاية, وبه الكثير من التفاصيل التي لا يفهمها حتى بعض الذي ينتمون إلى الزمن الذي أتينا منه. ولكن الفكرة تتلخص في أمرين.. البوابات الأساسية للانتقال, التي يتم التحكم في كمية الطاقة المنبعثة منها حتى لا تؤدي إلى مقتل الشخص المنتقل, والبوابات غير الشرعية.. أو لنسمها الفجوات التي تنشأ دون تحكم من فاتح البوابة الأساسية.
قال شاهين القرين وحاجباه ينعقدان بشدة:
- هل تسمي هذا اختصارًا وتحديدًا؟!
هز المعلم شاهين الأبيض رأسه ببطء وهو يقول:
- لقد قلت أيضًا إنه أمر شديد التعقيد, فحاول أن تتابع حديثي بقدر ما تستطيع.
زفر شاهين القرين قبل أن يقول وهو يشير بيده:
- أكمل حديثك إذًا.
قال المعلم شاهين الأبيض مكملاً حديثه:
- تلك البوابات غير الشرعية.. أو الفجوات الجانبية.. تملك طاقة جذب سلبية رهيبة لا يمكن لأي مخلوق أن يتصورها.. طاقة من شأنها أن تسحق أي إنسان عادي, فماذا لو كان الشخص الذي يعبرها لينتقل في الزمن يملك قوة سلبية تكاد توازيها؟ إنها باختصار تقوم بامتصاص جزء كبير من طاقته تلك في كل مرة يقوم فيها بعبور إحدى هذه البوابات أو الفجوات, ومع كل انتقال يفقد قدرًا كبيرًا من طاقته.
قال سليم وقد بدا الاهتمام على ملامحه:
- وكم عدد مرات الانتقال اللازمة حتى يفقد الشخص كامل قوته ويغدو

ضعيفًا لتسحقه؟
نظر إليه المعلم شاهين الأبيض بإعجاب لم يدم أكثر من لحظات وهو يقول مجيبًا:
- الأمر يتوقف على قوة الشخص الذي يقوم بعبور هذه الفجوات يا سليم, فكلما كانت قوته كبيرة زادت فرصه في البقاء والاستمرار حتى تستنزف طاقته كاملة.
قالت أريج تسأله باهتمام مماثل لاهتمام سليم:
- وهل يدرك الشخص الذي يعبر هذه الفجوات فقدان طاقته أيها المعلم.
مجيبًا قال المعلم شاهين الأبيض:
- بالتأكيد, ولكن ليس من المرة الأولى أو المرات الأولى كذلك.. الأمر يستغرق وقتًا حتى يدرك الشخص أن قوته تستنزف فيتوقف عن المرور من هذه الفجوات.
قال شاهين القرين:
- وهل تريد القول بأن لوسيفر القادم من زمنكم قد جاء إلى هنا باستخدام إحدى هذه الفجوات الجانبية, أو البوابات غير الشرعية؟
أومأ المعلم شاهين الأبيض برأسه إيجابًا وهو يقول:
- هذا صحيح, فالوهج الأحمر الذي سبق ظهوره المفاجئ في هذه القاعة منذ وقت قصير يؤكد أنه لم يتمكن من عبور إحدى البوابات الرئيسية, فلجأ إلى حيلة الفجوات الجانبية.
قال سعد ونظرة متألقة تطل من عينيه الحالمتين:
- وهل يعرف لوسيفر أي شيء عن هذا الاستنزاف؟
مجيبًا قال المعلم شاهين الأبيض:
- حتى لو كان يعرف هذا الأمر, فلم يكن بإمكانه أن يقف مكتوف اليدين ونحن نحاول قتل قرينه عبر الزمن.
تبادل أفراد الفريق الثلاثة نظرات سريعة, في حين قال القرين وابتسامة

تتراقص على شفتيه:
- سوف أصبح عبقريًّا في المستقبل دون شك يا قريني العزيز.
نظر إليه سليم وهو يقول متعجبًا:
- هل تمكنت من استعياب خطة المعلم شاهين الأبيض حقًّا؟
قال القرين وهو يهز كتفيه:
- يمكنك أن تجربني يا فتى.
وتلاشت ابتسامته, واتخذت ملامحه سمتًا جادًّا وهو يقول:
- إن خطة قريني المستقبلي تعتمد على مواصلة الانتقال عبر العصور ومطاردة قرين لوسيفر, وفي كل مرة سيعبر فيها هذا اللعين إحدى تلك الفجوات الجانبية سوف يفقد جزءًا من طاقته حتى يأتي وقت يصبح فيه أضعف من أن يقوم بحماية قرين له عبر الزمن, وبهذا ستكون مهمة التخلص منه أمرًا يمكن تحقيقه.. أليس كذلك؟
نطق الجزء الأخير من عبارته وهو ينظر إلى المعلم شاهين الأبيض, فهز هذا الأخير رأسه بالإيجاب وهو يقول:
- بلى.. هذه هي الخطة. سوف نغادر هذا الزمن, وبالتأكيد سوف يقوم لوسيفر بمراقبتنا على الدوام ومحاولة تتبعنا عبر بوابة رئيسية.
قالت أريج بقلق:
- وماذا لو فعل؟! لن يفقد أي جزء من طاقته على هذا النحو.
قال سعد مُؤَمِّنًا على حديثها:
- هذا صحيح.. أريج مُحِقَّة, فلو أن لوسيفر يعرف أن طاقته ستستنزف في كل مرة يتبعنا فيها عبر فجوة جانبية, فإنه دون شك سيحاول العبور معنا عبر بوابة رئيسية.
قال المعلم شاهين الأبيض:
- ولهذا نحن بحاجة إلى فخ يشغله عنا حتى نعبر البوابة الرئيسية, وعندما تنغلق وراءنا سيكون مضطرًا لعبور فجوة جانبية للحاق بنا.

ونظر إلى شاهين القرين وهو يقول:
- وهذه ستكون مهمتك أنت يا قرين الماضي.
***

الورقة الثالثة

الفخ

-١-

كان يشعر بجسده وكأنه يسبح في ذلك الفراغ الأسود العجيب..
لا أرض يلمسها.. لا سماء يمكنه الشعور بزرقتها الصافية.. ولا شمس ترسل دفئها عليه فتقهر تلك البرودة التي تسري في كل ذرة من كيانه..
هل هو ميت الآن؟! هل نجح لوسيفر في قتله حقًّا؟! أم أنه الآن أسير في عالم الظلام لدى بلعزبول الكبير؟!
- إنها نهايتك يا شاهين.. لقد حققت انتصاري الأخير عليك.. سوف أحصل على المفتاح الأسود بالتأكيد..
صوت لوسيفر الممتلئ شرًّا وحقدًا وظُفْرًا في وقت واحد..
لم يعد ذلك الفراغ يحيط به.. بل وجد نفسه أمام منزله المحترق, وسُحب الدخان تتصاعد منه إلى عنان السماء. كان هو جاثيًا على الأرض بجوار لوسيفر الذي وقف ويداه مفرودتان إلى جانبيه, وقد أحاطت به خيوط من دخان أسود اتخذت أشكالاً أفعوانية مخيفة..
- أنت واهم يا لوسيفر.. لن تتمكن من الهروب هذه المرة.. إنها نهايتك أنت يا أمير الظلام..
قالها شاهين الأبيض وهو واقف في مواجهة أمير الظلام وقد أحاط بجسده وهج فضي متألق, ومن عينيه أطلت نظرة تصميم وعزيمة.
رقص الأمل في قلبه وهو يرى هذا المشهد.. لقد أتى شاهين الأبيض من أجله دون شك.. أتى لينقذه من لوسيفر أمير الظلام ورغبته المحمومة في الوصول إلى مكان المفتاح الأسود.. انتفض جسده بقوة وهو في تلك الغيبوبة..
المفتاح الأسود!!
لو أنه أسير الآن في عالم الظلام فقد ضاع كل شيء.. كل السنوات التي قضاها هاربًا من لوسيفر وسفراء الجحيم ذهبت سدى.. حتى قدوم شاهين الأبيض في الوقت المناسب.. كان فشلاً ذريعًا.. سوف يضع بلعزبول الكبير يده القذرة على المفتاح.. سوف يتمكن من الوصول إلى القبو السري ليحرر

تلك القوة الرهيبة الكامنة في أعماقه منذ آلاف السنين.. فيكون دمار الأرض, وسيطرة عالم الظلام على زمام الأمور..

كلا.. كلا.. كلا..

كان ينبغي له أن يموت بدلاً من أن يجد نفسه في هذا الموقف العصيب.. كيف يقابل أجداده ذات يوم ويبرر لهم فشله في الحفاظ على سر المفتاح الأسود؟ كيف سيكون بينه وبين نفسه سلام وهو يعلم أنه سيكون السبب في دمار العالم لو تحررت تلك القوة في القبو؟ كيف؟ كيف؟ وألف ألف كيف..

- صفوان.. صفوان.

أحس بالفراغ يحيط بعقله بسحابة سوداء.. أحس بشيء غريب يحدث له في هذه اللحظة بالذات.. شعر بأن كل ذكرياته تتبخر من رأسه كما يتبخر الماء بسبب الحرارة الشديدة..

صفوان؟! هل هذا اسمه حقًّا؟!

الذكريات ما زالت تتبخر بسرعة.. وشذرات منها تمر أمامه بسرعة رهيبة فلا يتمكن من التقاط شيء منها على الإطلاق..

ما الذي يحدث له يا ترى؟! ولماذا يحدث؟! لماذا؟!

- إنها الوسيلة الوحيدة للحفاظ على السر من الوقوع في قبضة العدو..

الصوت يتردد من حوله.. يبدو له مألوفًا.. ولكنه عاجز عن تذكر صاحبه..

ما الذي يحدث؟!

- أنت آخر حامل للسر.. لا نستطيع أن نقتلك.. ولكننا وضعنا هذا الخط الدفاعي الأخير في عقلك.. من المفترض أن يبدأ فاعليته عندما يشعر حامل السر بأنه على وشك البوح به لأي مخلوق..

لا يفهم أي شيء.. من صاحب هذا الصوت؟! وعن أي سر يتحدث؟! وما ذلك الخط الدفاعي الذي يتحدث عنه؟!

- لا تخف يا صفوان.. يومًا ما.. ستعود ذاكرتك إليك.. ستعرف متى وأين..

عندما يحين ذلك الوقت ستتمكن من تذكر مكان وجود المفتاح الأسود.. وحينذاك.. قم بتدميره للأبد حتى لا يتمكن أي مخلوق من الوصول إلى القبو وتحرير والشر الكامن فيه.. تذكَّر أنك تحمل مصير العالم كله على عاتقك.. أنت فقط يا صفوان.. أنت فقط.. ولا أحد غيرك.

- لقد استعاد وعيه.

هتف بها ذلك الشاب وهو يقترب من فراشه بحذر. كانت الرؤية مشوشة من حوله, فأغلق عينيه للحظات قبل أن يفتحهما ليرى نفسه ينظر إلى سقف أبيض تضيئه مصابيح خافتة.. حاول أن يتذكر أي شيء عن قدومه إلى هذا المكان.. ولكن حاجباه انعقدا بشدة عندما أدرك أن محاولاته باءت بالفشل.. فذاكرته الآن كانت أشبه بصفحة بيضاء ناصعة.. لم يعد يذكر أي شيء على الإطلاق.

- هل أنت بخير؟

قالها الشاب وهو يميل عليه قليلاً, فالتفت إليه ببطء وانفرجت شفتاه ليقول بصوت مبحوح:

- لا أذكر أي شيء.

بدت الدهشة على وجه الشاب وهو يقول:

- ماذا تقول؟

زفر بقوة وابتلع ريقه بصعوبة قبل أن يقول متسائلاً:

- أين أنا؟!

نظر إليه الشاب قليلاً قبل أن يقول مجيبًا:

- أنت في معبد جماعة النور.

لَمْ يَدْرِ لِمَ شعر بالارتياح يملأ نفسه عندما سمع هذه الإجابة.. ووجد نفسه يقول بصوت خافت:

- الحمد لله.. الحمد لله.

لم يعرف سبب هذه السعادة, ولا هذا الارتياح لوجوده في مكان كهذا..

ولكن غريزته أنبأته بأنه في أمان في هذا المكان..
- لا بُدَّ أن يعرف المعلم الأكبر بأنك استعدت وعيك يا سيد صفوان.
نظر إلى الشاب وهو يقطب جبينه وقال وهو يمد يده:
- بماذا ناديتني؟!
تراجع الشاب للوراء قليلاً وهو يقول:
- سيد صفوان.. إنه اسمك.. ألا تذكره أيضًا؟!
بدت الحيرة في صوته وعلى وجهه وهو يقول مجيبًا:
- لا أذكر أي شيء على الإطلاق.. ذاكرتي أكثر بياضًا من هذا السقف.. صدقني.
عاد الشاب ينظر إليه لبعض الوقت قبل أن يهز رأسه وهو يقول:
- لا بأس.. سوف أذهب لأبلغ المعلم الأكبر.. سوف أعود بسرعة.
- ماذا تقول؟! فقد ذاكرته؟!
قالها المعلم الأكبر بلهجة حادة وهو ينظر إلى الشاب الذي أومأ برأسه إيجابًا وهو يقول:
- أجل يا سيدي.. إنه لا يذكر أي شيء على الإطلاق.. ناديته باسمه ولكنه لم يميزه.
التقى حاجبا المعلم الأكبر في تقطيبة عميقة.. لقد تطورت الأمور في اتجاه لم يكن يتوقعه على الإطلاق.. اتجاه قد يكون في صالح الجماعة في الوقت الحالي.. فلو أن صفوان فقد ذاكرته بالفعل, فإن هذا لا يعني إلا أمرًا واحدًا فقط.. أنه لا يذكر أيضًا مكان المفتاح الأسود باعتباره حامل السر الأخير.. من المؤكد أن ما حدث له علاقة بحقيقة هوية صفوان.. هويته.. تلك الأسرة التي يتحدَّر منها.. إنه يعرف عنهم الكثير من الأمور.. فهل هم من فعلوا هذا به لتضيع أي معلومة تقود إلى مكان المفتاح؟! أم أن الأمر محض خدعة من صفوان؟ هل فقد ذاكرته حقًّا؟ أم أنه يزيِّف الأمر برمته؟
- لا بُدَّ أن نتأكد من هذا الأمر.

قالها المعلم الأكبر بلهجة صارمة, فقال الشاب يسأله:

- هل تعتقد أنه يكذب أيها المعلم؟

لاذ المعلم الأكبر بالصمت للحظات قبل أن يقول مجيبًا:

- إنه احتمال قائم.. لا بُدَّ أن يراه فريق المعالجين أولاً, وبعدها سنقرر صدقه من عدمه.

***

-٢-

- لقد بدأت المتعة الحقيقية.

قالتها سايا وابتسامة جذلة ترتسم على شفتيها المصبوغتين, وتألقت عيناها السوداوان ببريق قوي, فنظر إليها نوسفيراتو وقال بصوته الطفولي الرفيع:

- تبدين سعيدة بما حدث يا سايا!

نظرت إليه سايا, واتسعت ابتسامتها دون أن تنبس ببنت شفة, فقال نوسفيراتو وهو يعقد حاجبيه:

- لقد نجح لوسيفر في إنقاذ قرينه من قبضة شاهين الأبيض في اللحظة المناسبة.. إنه قوي بالفعل.. لن تنجح محاولة ذلك الشاهين أبدًا.

رفعت سايا حاجبيها وهي تقول بدهشة مصطنعة:

- هل تعتقد هذا حقًّا يا عزيزي نوسفيراتو؟!

ازداد انعقاد حاجبي نوسفيراتو مما منح ملامحه الطفولية مسحة مرعبة وهو يقول:

- ما الذي ترمين إليه بالضبط؟ مهمتنا هي تعقب لوسيفر وحسب.. أليس كذلك؟

مدت يدها تربّت رأسه وكأنها تعامل طفلاً حقيقيًّا وهي تقول:

- تعقبه وحسب يا نوسفيراتو؟ هل نسيت أوامر شالون؟!

وصمتت هنيهة قبل أن تقول وقد تلاشت ابتسامتها واكتست ملامحها بلمحة وحشية مخيفة:

- إن مهمتنا الحقيقية هي القضاء على لوسيفر عندما يصبح ضعيفًا بسبب التنقل بين العصور عبر الفجوات الجانبية.. هل تفهم هذا يا عزيزي؟

شعر نوسفيراتو بالخوف وهو ينظر إلى هذه الملامح المخيفة, وأومأ برأسه إيجابًا وهو يقول:

- بالتأكيد.. القضاء على لوسيفر.. لا تظني أنني نسيت أوامر شالون يا سايا.. اتفقنا؟

نظرت إليه سايا بعينين متألقتين وعلى شفتيها ارتسمت ابتسامة مخيفة كملامحها!

***

- هل سنقف هكذا مكتوفي الأيدي دون أن نفعل أي شيء؟!

قالها لوسيفر كبير كهنة العقارب وهو ينظر إلى قرينه المستقبلي لوسيفر أمير الظلام.

كان الاثنان جالسان في تلك القاعة الواسعة بمعبد كهنة العقارب القريب من سفح ذلك الجبل. الجدران خالية من أي زينة.. ذات لون رمادي كالح, ولم يكن بها أي نوافذ على الإطلاق, ولم يكن فيها من أثاث سوى مائدة خشبية ضخمة جلس لوسيفر كاهن العقارب عند طرفها, ومقابلاً له جلس قرينه المستقبلي لوسيفر أمير الظلام, وعليها استقرت مجموعة من الشموع التي راحت نيرانها تتراقص صانعة العشرات من الظلال المخيفة.. كان المكان ذا جو مقبض لا شَكَّ فيه. مكان لا يليق إلا بمن يمارس السحر الأسود بالفعل.

كان عقل لوسيفر أمير الظلام يعمل كدوامة لا تتوقف في هذه اللحظة.. لقد كاد شاهين الأبيض يبلغ هدفه ويقتل قرينه في هذا الزمن, ولو أنه لم يصل في اللحظة المناسبة لانتهى وجوده للأبد بموت القرين. ومهمته الأساسية الآن هي حماية قرينه من أي محاولة قد يقدم عليها شاهين الأبيض.. ولكن.. ما الذي سيفعله عدوه اللدود الآن؟ ما الذي يخطط له للنيل من قرينه؟ كيف سيتحرك مع ذلك الفريق البائس الذي أتى به من المستقبل؟ وأي مساعدة قد يقدمها له قرينه في هذا الزمن يا ترى؟ يمكنه أن يحاول القضاء على شاهين الأبيض بنفسه, ويقلب السلاح ضده, فينتهي وجوده في المستقبل, ولكن كيف له أن يضمن ألا يسعى أفراد ذلك الفريق ومعهم قرين شاهين في هذا الزمن على النَّيْلِ من قرينه هو؟ هل يمكنه أن يُقْدِمَ على هذه المخاطرة حقًّا؟

تبًّا لك يا شاهين.. تبًّا لك ألف مرة.
لَمْ يَدْرِ لِمَ راحت ذاكرته تعود للوراء.. سنوات.. مئات السنوات.. قرونا عديدة.. راحت الصور والمشاهد تمر بسرعة في عقله.. العشرات من المواقف.. العشرات من الأماكن المختلفة.. وعشرات العشرات من المعارك التي لم تتوقف.. ولن تتوقف حتى هذه اللحظة.
أخذ نفسًا عميقًا محاولاً السيطرة على ذلك الغضب الذي سرى في عروقه كسم قاتل قبل أن يجرفه في تياره الهادر..
اهدأ يا لوسيفر.. لا بُدَّ أن تبحث عن مخرج من هذه الأزمة والعودة سريعًا إلى زمنك.. إن سفراء الجحيم الآخرين، وعلى رأسهم شالون، لن يتركوا هذه الفرصة الذهبية تمر دون أن يستغلوها لصالحهم.. أنت واثق تمامًا بأن سايا أخبرتهم بما فعلته من أجلك.. تعرف جيدًا أنها تدين بولاء تام لشالون, وأنها رغم طاعتها لك باعتبارك أميرًا لعالم الظلام لن يمنعها من نقل كل ما تعرفه إلى مسامع شالون وباقي السفراء..
- أنا أتحدث إليك.
قالها لوسيفر القرين وهو يدق سطح المائدة بقبضته, فالتفت إليه أمير الظلام بعينين مشتعلتين وهو يقول بصوته المخيف:
- وأنا سمعتك.
نظر إليه لوسيفر القرين للحظات قبل أن يقول وهو يلوِّح بكفه:
- وما الذي سنفعله إذًا؟ لقد رصد رجالي شاهين متجهًا نحو معبد العقارب.
قال أمير الظلام وهو يميل للأمام قليلاً:
- وحده.. أليس كذلك؟
عقد لوسيفر القرين حاجبيه وهو يقول:
- بلى.. ولكن...
قال أمير الظلام يقاطعه:
- إنه فخ واضح للإيقاع بك.

قال لوسيفر القرين مندهشًا:
- ماذا تقول؟! فخ؟!
نظر إليه لوسيفر أمير الظلام بازدراء للحظات قبل أن يقول وهو يلوح بيده:
- لقد ظننت الأمر واضحًا كنور الشمس يا قريني العزيز. ما الذي يدفع عدوك اللدود شاهين للقدوم وحيدًا إلى معبد العقارب؟ ألا ترى أنها محاولة لاستدراجك خارج أسواره فيهاجمك قرينه القادم من المستقبل مع ذلك الفريق ويقضون عليك؟
نظر إليه لوسيفر القرين بعض الوقت قبل أن يزفر بقوة ويقول:
- أنت مُحِقٌّ.
ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي لوسيفر أمير الظلام وهو يقول:
- أمامك الكثير لتتعلمه يا عزيزي.. الكثير من العصور ستعيش فيها.. والكثير من الأمور ستكتشفها لتصبح أقوى مما أنت عليه الآن.
مال لوسيفر القرين إلى الأمام قليلاً وهو يقول بلهفة:
- ولِمَ لا تخبرني بما سيحدث لي خلال العصور التالية؟ أخبرني عن عدوي شاهين, ولِمَ لا نسعى لقتله هنا فيموت قرينه المستقبلي وينتهي الأمر.
عقد لوسيفر أمير الظلام حاجبيه وهو يقول:
- الأمر ليس بالبساطة التي تتخيلها. شاهين القادم من المستقبل أكثر قوة من شاهين الذي تعرفه في هذا الزمن, فلو حاولت قتل قرينه, دون شك سيسعى ذلك الفريق الآتي معه لقتلك أيضًا, وبهذا سينتهي وجودنا معًا في المستقبل, وهذا ما لا أريده أنا. لوسيفر أمير الظلام لا بُدَّ أن يبقى.. وللأبد.. لا بُدَّ أن أصل إلى المفتاح الأسود وأحرر القوة الكامنة في القبو قبل أن تنتهي دورة حياتي الطويلة عبر العصور.
قال لوسيفر القرين وحاجباه يرتفعان في دهشة:
- المفتاح الأسود؟! وما هذا الشيء يا ترى؟! وعن أي قبو تتحدث؟!

أخذ لوسيفر أمير الظلام نفسًا عميقًا ملأ به صدره, وأخرجه في زفرة ملتهبة قبل أن يقول مجيبًا:

- إنه مفتاح القوة الحقيقية.. السبيل إلى قوة لو امتلكها أي مخلوق فستجعل منه قادرًا على أن يحكم العالم وحده ودون منازع.

اتسعت عينا لوسيفر القرين عن آخرهما وهو يقول:

- يحكم العالم؟ وهل هذا ممكن حقًّا؟!

نظر إليه لوسيفر هنيهة قبل أن يقول ملوّحًا بيده بحركة قاطعة:

- لا وقت للحديث الآن عن المفتاح الأسود. لا بُدَّ أن نولي حمايتك والحفاظ على حياتك الشطر الأعظم من اهتمامنا. ينبغي أن لا يصل إليك أي مخلوق في الوقت الحالي.

قال لوسيفر القرين يسأله:

- وما الذي ستفعله أنت؟

ارتسمت ابتسامة مخيفة على شفتي لوسيفر أمير الظلام وهو يقول مجيبًا:

- سوف أقلب الفخ الذي يريد شاهين الأبيض إيقاعك فيه ليكون سببًا في نهايته. لقد خاطر وأرسل قرينه إلى هنا. سوف أجعله يدفع ثمن هذه المخاطرة غاليًا.

ولاذ بالصمت لحظات قبل أن يقول مضيفًا وعيناه تتألقان ببريق ناري أثار الرجفة في جسد لوسيفر القرين:

- سيدفعه بحياته.

***

-٣-

كان دهام يندفع بقوة نحو مجموعة الغيلان التي انهمكت في التهام جسد زميلها الصريع في مشهد وحشي, وفي يده تألق سيفه ذو النصل القصير بذلك الوهج الأبيض, وبلغت دقات قلبه حدها الأقصى عندما أصبح على بُعْد خطوات من تجمع هذه الوحوش المتعطشة دومًا للدماء الحارة, و..

سرت في جسده رجفة قوية عندما التفت إليه أحد الغيلان بعينين حمراوين كالدم, وكشر عن أنيابه المخيفة التي التمعت بسبب وهج سيفه, وند عنه عواء رفيع قبل أن يغمد دهام سيفه في صدره لتتسع عيناه الحمراوان, وسحب دهام سيفه ليسقط الوحش على وجهه جثة هامدة..

وكانت بداية الهول!

التفتت إليه بقية الغيلان وقد انتهت من وجبتها.. عيون حمراء كالدم راحت تنظر إليه بشبق ووحشية.. دماء طازجة.. دماء بشرية حارة.. حمراء.. تحمل نبض الحياة.

تجمد جسد دهام في مكانه وهو ينظر إلى هذا المنظر الوحشي أمامه.. راحت مخيلته ترسم له أسوأ الصور وأكثرها بشاعة لو هاجمته هذه الغيلان وتمكنت منه.. تخيل كل مخلب منها ينهش في لحمه.. رأى كل ناب من هذه الأنياب المرعبة تغوص في عروقه لتنفجر منها الدماء مثيرة المزيد من شبق أصحابها..

- دهام.. أنا أثق بك بالفعل..

- دهام.. أنا أثق بك بالفعل..

- دهام.. أنا أثق بك بالفعل..

كلمات المعلم الأكبر عادت تتردد في عقله مرة أخرى.. إنها تمنحه المزيد من القوة.. المزيد من الشجاعة ليواجه هذه الوحوش ويتغلب عليها.. لن يستسلم أبدًا.. لن يتحول إلى وجبة عشاء لهذه الغيلان اللعينة.. أبدًا.

رفع سيفه عاليًا وأطلق صيحة قوية, وتوقفت الغيلان في مكانها عندما بلغ

وهج سيفه حده الأقصى, وبدا وكأن شمسًا بيضاء قد أشرقت فوق رأسه ومنحته مظهرًا شبيها ببطل أسطوري آتٍ من عالم آخر..

ولم يُضِعْ دهام لحظة واحدة, بل انقض بكل جسارة وهو يطلق صيحته القتالية هذه المرة.. وكأن صيحته أثارت وحشية الغيلان أكثر, فراحت ترد عليه بعواء غاضب قبل أن تبدأ هجومها عليه أيضًا..

رجل واحد.. في مواجهة هذه المجموعة من الغيلان المتوحشة.. مواجهة غير عادلة.. وغير متكافئة على الإطلاق.. ولكن دهام راح يتحرك بسرعة بين خصومه.. كان يضرب بسيفه يمنة ويسرة.. تمكن من صرع غول.. والثاني.. والثالث.. قبل أن يتمكن أحدها من إصابة ذراعه اليمنى بمخالبه ليشعر وكأن عمودًا من النار قد تفجر مكان الإصابة, وبألم يسري في كل شبر من جسده..

تبًّا.. إنه السم في مخالب هذه الوحوش دون شك..

كان قد سمع الكثير عن سم هذه الغيلان.. وعن قدرته على قتل رجل قوي في ساعات معدودة.. ولهذا لم يتعجب, ولعن الغيلان ألف مرة عندما تشوشت الرؤية أمام عينيه, وراح جسده يترنح على نحو مخيف.

أطلق صرخة غاضبة وهو يقفز للوراء, وراح يلوح بسيفه أمام وجهه على نحو عشوائي.

كانت الغيلان أمامه تتراقص يمنة ويسرة وكأنها أدركت أن سمها قد بدأ عمله بالفعل, وراحت تطلق عواءً ظافرًا احتفاءً بسقوط الفريسة، وبدء وجبة العشاء.

انهار دهام على ركبته اليسرى فوق الأرض الموحلة.. وراحت مياه المطر تهوي فوق رأسه فيشعر بها مع تأثير السم السريع في دمائه وكأنها عشرات المطارق تهوي بلا رحمة.

الألم الرهيب يسري في كل ذرة من جسده.. حاول أن يرفع سيفه ولكنه شعر وكأن يده ثقيلة تزن عشرات الأطنان.

الألم.. الألم.. الألم..

جثا على ركبتيه.. هوت يده الممسكة بالسيف على الأرض الغارقة في الوحل.. راح وهجه الأبيض يتلاشى بسرعة حتى سيطر ظلام عجيب على وعيه, ولم يعد يسمع سوى صوت عواء الغيلان الظافرة.

- دهام.. أنا اثق بك..

لا فائدة أيها المعلم الأكبر.. لقد انتهى الأمر.. سوف تكون نهايتي في وادي الغيلان.. سامحني يا سيدي..

الألم.

ترنح جسده بقوة.. حاول أن يفتح عينيه على اتساعهما.. لم يرَ سوى صورة مشوشة للغيلان وهو تقترب منه مواصلة إطلاق العواء الظافر.. حاول بكل ذرة في كيانه المحترق ألمًا أن يرفع سيفه, ولكن عجز.. شعر بدموعه تسيل على وجهه لتمتزج بمياه المطر بألمه وعجزه.. انفرجت شفتاه ليطلق صرخة قوية بكل ما بقي في جسده من قوة.. هوى على وجهه في الوحل.. شعر بالظلام يحيط بوعيه بسرعة رهيبة.. سمع عواء الغيلان الغاضب.. خيل إليه أنه يسمع صوت سيف يخرج من غمده, وصوت جسد ثقيل يهوي بالقرب منه ورائحة خانقة تنبعث منه.. العواء الغاضب يزداد.. الألم يزداد.. صوت سقوط الأجساد الثقيلة يتكرر أكثر من مرة.. هناك من يقترب منه.. يد خشنة تتحسس وجهه برفق أدهشه..

ما الذي تفعله هذه الوحوش يا ترى؟!

- السم ينتشر في جسده بسرعة.. احملوه.. لا بُدَّ أن يراه معالج على الفور..

وقبل أن يحاول تمييز الصوت كانت الغيبوبة قد تمكنت منه.. وراح عقله يهوي في قرار أسود.. عميق.. وإلى أقصى حد.

***

- إنه صادق.. لقد فقد ذاكرته.

قالها كبير المعالجين بمعبد جماعة النور المقدس وهو يخلل أصابعه شعيرات لحيته الكثة, فنظر إليه المعلم الأكبر بحاجبين منعقدين وهو يقول ناظرًا إلى صفوان الذي كان واقفًا أمام حاجز تلك الشرفة بالمعبد, وعلى وجهه بدت أمارات الشرود والحيرة:

- وهل من سبب واضح لهذا؟

لاذ كبير المعالجين بالصمت للحظات قبل أن يقول وهو يهز رأسه ببطء:

- لا سبب واضحًا أيها المعلم الأكبر. عندما أتى به شاهين الأبيض لم تكن إصابته بالغة, وغيبوبته كانت بسبب الانتقال وحسب. لا أستطيع أن أحدد سببًا قويًّا لفقدان الذاكرة على هذا النحو.

تنهد المعلم الأكبر بحرارة قبل أن يقول متسائلاً:

- ألا يمكننا تحفيز ذاكرته أو تنشيطها بأي وسيلة؟ من الضروري أن يستعيد صفوان ذاكرته.

فرد كبير المعالجين كفيه وهو يقول:

- لقد حاولنا بأكثر من طريقة، ولكن رغم هذا لم نتوصل إلى نتيجة إيجابية. حتى البلورات البيضاء لم تنجح في تحقيق أي نتيجة ملموسة. لا حل سوى أن نتركه يستعيدها وحده. الوقت كفيل بردها إليه مرة أخرى.

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتي المعلم الأكبر وهو يقول:

- ليت الوقت يكون في صالحنا يا كبير المعالجين. إن عالم الظلام يتربص بنا, وقد نجد أتباع بلعزبول الكبير فوق رءوسنا في أي وقت.

ارتفع حاجبا كبير المعالجين وهو يقول مندهشًا:

- ما يتناقله الجميع في المعبد حقيقي إذًا!

وافقه المعلم الأكبر بهزة من رأسه, فقال كبير المعالجين يسأله:

- وماذا عن شاهين الأبيض؟ وما سر اختفائه المفاجئ على هذا النحو بعد

أن عاد بصفوان إلى هنا؟
نظر إليه المعلم الأكبر قليلاً قبل أن يقول مجيبًا:
- شاهين لم يَخْتَفِ دون سبب. إنه مستمر في حربه ضد لوسيفر أمير الظلام, وأقوى سفراء الجحيم السبعة, والتابع الأكثر ثقة لدى بلعزبول الكبير.. لا أستطيع أن أخبرك إلى أين ذهب بالضبط.
أومأ كبير المعالجين برأسه إيجابًا قبل أن يقول:
- يمكنني أن أفهم هذا بالطبع.
ولوّح بيده تجاه صفوان وقال يسأل وقد خفض صوته:
- وما الذي تنوي فعله مع صفوان وهو بهذه الحالة؟
قال المعلم الأكبر:
- لا فكرة محددة في الوقت الحالي. إنه آمن هنا في المعبد, ولكنه لا يعرف مدى أهميته في الحرب المشتعلة بيننا وبين عالم الظلام. إن المعلومات التي كان بسببها مطاردًا من قبل لوسيفر أمير الظلام انمحت من عقله. ولكن.. من يدري؟ قد يستعيدها في أي وقت, وبهذا يمكننا أن نسبق عدونا بخطوة إلى الأمام.
قال كبير المعالجين وهو يهز رأسه:
- المفتاح الأسود.. أليس كذلك؟
قال المعلم الأكبر وهو يهز رأسه إيجابًا:
- بلى.
قال كبير المعالجين يسأله:
- أما من وسيلة أخرى تمكننا من الوصول إلى المفتاح الأسود دون الحاجة إلى الانتظار ليستعيد صفوان ذاكرته؟
هازًّا رأسه نفيًا قال المعلم الأكبر:
- صفوان هو حامل السر الأخير على قيد الحياة, وهو الوحيد الذي يعرف مكان وجود المفتاح الأسود. أنت تعرف أن حاملي الأسرار يتوارثون هذا

السر جيلاً بعد جيل.. وفي كل جيل يوجد شخص واحد فقط يحمل هذه المعرفة المُحَرَّمَة. صفوان لم يكن له أي أسرة.. زوجته ماتت منذ سنوات, وليس له من بقية أهل على قيد الحياة. إنه الأخير حقًّا.

وصمت هنيهة قبل أن يقول:

- لقد قمت بعملك على النحو المطلوب. إنه بخير الآن, ولا حاجة لوجود المعالجين بالقرب منه بعد اليوم.

قال كبير المعالجين وهو يهز رأسه إيجابًا:

- إذا كان الأمر كذلك, فأنا بحاجة إلى قسط من الراحة بالفعل. اسمح لي بالعودة إلى مخدعي يا سيدي.

هز المعلم الأكبر رأسه إيجابًا, وما إن غادر كبير المعالجين حتى سار بخطوات وئيدة نحو صفوان, وربت كتفه برفق وهو يقول:

- هل تشعر بالتحسن الآن؟

التفت إليه صفوان وقال بلهجة حزينة:

- أشعر وكأنني ضائع.. لا أعرف من أكون, ولا كيف كانت حياتي قبل أن أفتح عيني وأجد نفسي في هذا المكان الغريب.

ابتلع المعلم الأكبر ريقه دون أن ينبس ببنت شفة, فتنهد صفوان قبل أن يقول وهو يعاود النظر إلى الجبال المحيطة بالمعبد:

- أنتم لا تثقون بي، ولهذا جعلتم ذلك الرجل العجوز يتأكد بأني فقدت ذاكرتي بالفعل.

هز المعلم الأكبر رأسه نفيًا قبل أن يقول:

- الأمر لا يتعلق بالثقة من عدمها يا صفوان. كان لا بُدَّ أن نتيقن من حقيقة الأمر, وهل من الممكن مساعدتك على استعادة ذاكرتك المفقودة أم لا.

قال صفوان يسأله:

- وهل من أمل أو طريقة لهذا؟

مجيبًا قال المعلم الأكبر:
- في الوقت الحالي لا توجد أي وسيلة محددة يمكنها مساعدتك.
ساد الصمت بعد عبارة المعلم الأكبر.. صمت ثقيل.. ورهيب.. صمت له وجود خانق وكئيب..
كان المعلم الأكبر يقدر مشاعر صفوان وإحساسه بالضياع والألم..
كم هو فظيع أن يفقد الإنسان اتصاله بماضيه.. بهويته.. بحياته.. بكل شيء كانه قبل لحظة الانفصال والضياع..
ولكن.. ماذا لو علم صفوان أهمية استعادته ذاكرته؟ ماذا لو عرف السر الرهيب الذي انيط به بحمايته والحفاظ عليه؟
- أريد أن أعرف كل شيء عن نفسي. هل يمكنك مساعدتي في هذا الأمر؟
قالها صفوان لتسري رجفة باردة في جسد المعلم الأكبر.. ولم ينبس ببنت شفة للحظات قبل أن يتنهد ويقول مجيبًا:
- هل أنت واثق من رغبتك هذه حقًّا؟ قد تكتشف أن المعرفة عبء ثقيل عليك.
قال صفوان وهو يلتفت إليه:
- سيكون العبء أفضل بكثير من البقاء في هذا الضياع.
نظر المعلم الأكبر إلى عينيه مباشرة وهو يقول متسائلا:
- حتى لو عرفت بأن ما فقدته مع ذاكرتك يجعل حياتك معرضة للخطر؟ حتى لو كان أمرًا يسعى وراءه أكثر الأعداء شرًّا ورغبة في تدمير العالم وإغراقه في ظلام أبدي؟
اتسعت عينا صفوان عن آخرهما وهو يقول بصوت مرتجف:
- إلـ.. إلى هذا الحد؟!
نظر إليه المعلم الأكبر بإشفاق وهو يقول مجيبًا:
- الأمر بالغ الخطورة بالفعل يا صفوان.. ولك فقط أن تختار المعرفة, أو الانتظار حتى تعود إليك الذاكرة وتعرف أهمية ما تحمله في عقلك.

وأخذ نفسًا عميقًا ملأ به صدره, وأخرجه في زفرة حارة قبل أن يقول مكملاً:

- لا أحد هنا يمكنه أن يخبرك بالحقيقة رغمًا عنك. ولكن دعني أخبرك بأمر واحد فقط.. لو قررت أن تنتظر حتى تعود إليك ذاكرتك, فاعلم أن الوقت ليس في صالحنا أبدًا, فنحن الآن أضعف بكثير من عدونا, وفي أي وقت سوف نجده فوق رءوسنا, ولو وقعت في قبضته.. فستكون نهاية عالمنا الذي نعرفه, وبداية عهد من الظلام الأبدي.

وفي هذه اللحظة شعر صفوان بكل شيء يدور من حوله.. وبأن قبضة حديدية تعتصر قلبه بقسوة.. وبلا رحمة.. أي رحمة على الإطلاق.

***

-٥-

شعر دهام بالألم ينتشر في كل شبر من جسده, وأحس بأن ثِقلاً عجيبًا يسري في أوصاله, وبفراغ يحيط بوعيه, ويغلفه بظلام كئيب وخانق.

أراد أن يفتح عينيه.. ولكنه شعر وكأن حجارة ثقيلة تثبت جفنيه فيأبيان الاستجابة له بسهولة, وحاول أن يفتح فمه ليقول أي شيء, ولكنه شعر به جافًا وكأنه لم يتذوق الماء لفترة طويلة.

خفق قلبه بقوة, والدماء تتدفق في عروقه بسرعة عجيبة.

أحس بيد تتحسس جبهته برفق, فسرت في جسده رجفة باردة.

ما الذي تفعله هذه الوحوش به يا ترى؟! لماذا تهتم به على هذا النحو دون أن تلتهمه على الفور وتسفك دماءه؟! هل حل الرفق في قلوبها الحجرية الخالية من أي رحمة أو شفقة هذه المرة؟!

- إنه بخير الآن.. فقط هو بحاجة إلى الراحة وسيستعيد وعيه في أي وقت.

سمع العبارة تتردد من حوله بصوت قوي واثق, ولكنها بدت وكأنها آتية من مكان بعيد..

ما الذي يحدث يا ترى؟!

- دهام.. أنا أثق بك بالفعل..

من جديد راحت كلمات المعلم الأكبر الأخيرة تتردد في عقله.. ولم يَدْرِ لِمَ منحته القوة على المحاولة بكل ما في نفسه ليتجاوز حالة العجز والثقل التي تسيطر على عقله..

استنفر كل ذرة من كيانه ليخرج من هذه الغيبوبة اللعينة.. لا بُدَّ أن يستعيد وعيه ويواصل مهمته إلى عالم الظلام..

بصعوبة بالغة وجد نفسه قادرًا على فتح عينيه لتبدو الرؤية مشوشة أمامه في البداية, فعاد يغلقهما للحظات قبل أن يفتحهما من جديد لتبدأ الصورة في الاتضاح أمامه.

كان راقدًا على فراش خشن, ولكن كان نظيفًا ومريحًا إلى حد ما, زيه

القتالي كان معلقًا على قائم خشبي قريب من الفراش, فمد يده يتحسس جسده ليجد نفسه يرتدي ثوبًا جافًا من قطعة واحدة, خشن النسيج ولكنه مريح إلى حد كبير.

أضاءت المكان من حوله مصابيح صغيرة بضوء خافت, ولكنه كان محببًا للعين, ومن حوله أحس بأنفاس ثابتة وهادئة, فالتفت ليجد رجلين واقفين بجوار الفراش ينظران إليه باهتمام, وإن لم يبدُ في نظراتهما أي نية للشر, فشعر بالارتياح, وبخفقات قلبه تنتظم من جديد.

- حمدًا لله على سلامتك.

قالها أكبر الرجلين سنًّا وابتسامة أبوية ترتسم على شفتيه, في حين قال الثاني وهو يشبك ذراعيه أمام صدره:

- لقد كنت على شفا الموت, ولكن العناية الإلهية شاءت لك أن تعيش بعد أن كاد سم تلك الغيلان يتمكن منك.

وأشار بيده إلى زيه القتالي المعلق قبل أن يقول:

- أنت تنتمي إلى جماعة النور المقدس, أليس كذلك؟

نظر إليه دهام قليلاً قبل أن تنفرج شفتاه ليقول بصوت مبحوح:

- مااء.

قال الرجل الأكبر سنًّا وهو يمسك بذراع رفيقه:

- حنانيك يا زين. اجلب له الماء حالاً, واطلب منهم أن يُعدوا طعامًا من أجل ضيفنا.

عقد المدعو زين حاجبيه, وبدا وكأنه سيبدي اعتراضه, ولكنه زفر بقوة قبل أن يقول وهو يهز رأسه إيجابًا:

- حسن يا أبي.

قالها وغادر المكان بخطوات واسعة, فنظر الأب إلى دهام وهو بابتسامته الأبوية:

- نحن نعرف مقاتلي جماعة النور منذ زمن طويل, ولقد أسبغوا علينا

الحماية, وساعدونا في قتال الغيلان وغيرهم من مخلوقات عالم الظلام.
وصمت هنيهة قبل أن يقول وقد تلاشت ابتسامته:
- ولكننا لم نرَ أي شخص منهم منذ سنوات تقرب على العشرين. ولدي زين ولد ونشأ دون أن يرى واحدًا منهم على الإطلاق, فقط سمع عنهم من كبار رجال القبيلة. هو وكثيرون من أبناء جيله يعتقدون أن المعبد أن تخلى عن مساعدة البشر.
قال دهام بصوته المبحوح وهو يعقد حاجبيه:
- نحن بشر مثلكم يا سيد...
بتر عبارته ليقول الرجل وهو يجذب مقعدًا ويجلس بجوار الفراش:
- فضل.. اسمي هو فضل, وأنا كبير هذه القبيلة من البشر البائسين.
ابتلع دهام ريقه وهو يقول:
- ما الذي قصدته بأن المعبد قد تخلى عن حماية البشر يا سيد فضل؟
رجال الجماعة بشر مثلكم في نهاية الأمر.
مال فضل للأمام قليلاً وهو يقول:
- قد تكون بشريًا مثلي يا بني, ولكن ماذا عن مؤسسي الجماعة ومجلس حكمائها الأربعة عشر؟ هل هم بشر مثلنا أيضًا؟
ازداد حاجبا دهام انعقادًا وهو يقول متسائلاً:
- ما الذي تتحدث عنه يا سيد فضل؟!
ارتسمت الحيرة في عيني فضل وقال وهو يتراجع للوراء قليلاً:
- أنت لا تعرف شيئًا عن الأمر إذًا.
قال دهام متسائلاً:
- أي أمر تقصد؟!
لاذ فضل بالصمت وهو يتفرس ملامح دهام لبعض الوقت, وبدا وكأنه سيقول شيئًا من انفراجة شفتيه, ولكنه تراجع في اللحظة الأخيرة ليقول وابتسامته الأبوية تعاود الارتسام على شفتيه مجددًا:

- لننسَ هذا الأمر الآن يا بني. دعني أسألك.. ما الذي كنت تفعله في وادي الغيلان؟

تردد دهام قليلاً قبل أن يقول مجيبًا:

- أنا في مهمة أسندها إلي المعلم الأكبر.

قال فضل وحاجباه يرتفعان في دهشة:

- وما الذي يريده المعلم الأكبر من وادي الغيلان يا ترى؟!

ابتلع دهام ريقه قبل أن يقول مجيبًا:

- وادي الغيلان هو البوابة الوحيدة إلى عالم الظلام.

هازًّا رأسه إيجابًا قال فضل:

- هذا صحيح.

قال دهام:

- إن مهمتي هي الذهاب إلى عالم الظلام وجمع معلومات مهمة من أجل الجماعة عن تحركات بلعزبول الكبير ضدنا.

بدت الدهشة في عيني فضل وهو يقول:

- أنت مجنون لتعتقد أنك قادر على الدخول إلى عالم الظلام والعودة منه حيًّا يا بني.

قال دهام بلهجة حادة:

- أنا مقاتل في الجماعة, وأستطيع أن أؤدي المهمة المسندة إلي على النحو المطلوب.

نظر إليه فضل قليلاً قبل أن يقول وهو يشبك كفيه معًا:

- لقد كادت الغيلان تنال منك لولا وجود رجالي بالقرب من مكانك, وهذه الوحوش هي عينة بسيطة لما يمكن أن تواجهه في عالم الظلام, فهل أبلغك قادتك بالجماعة عن كنه هذه الأخطار قبل أن يرسلوك في هذه المهمة؟

نظر إليه دهام في تحدٍ قبل أن يقول:

- بالتأكيد. المعلم الأكبر أخبرني أن المهمة لن تكون هيِّنة على الإطلاق. لقد

وثق بي, وأسند الأمر كله إلي.
ارتسمت ابتسامة على شفتي فضل وهو يقول:
- هل تظن أن هذا هو الأمر حقًّا؟ يثق بك وحسب؟ لماذا لم يرسل واحدًا من الآخرين لهذه المهمة إذًا؟ لماذا قرر أن يسندها إلى بشري عادي مهما بلغت قوته؟ الأمر مثير للشكوك حقًّا.
حاول دهام أن يعتدل في فراشه, ولكن موجة من الألم ضربته بقوة, فعاد يرقد على الفراش وهو يقول:
- ما الذي تقصده بهذه الألغاز؟ ما الذي تعرفه عن المعبد والجماعة أكثر مني؟ ولماذا تأبى أن تعتبرهم بشرًا مثلي ومثلك؟ ومن أنت بالضبط؟
أخذ فضل نفسًا عميقًا ملأ به صدره قبل أن يقول:
- أنا مجرد بشري مثلك. أعيش مع قومي في هذا المكان منذ زمن طويل. لقد أخبرتك أن جماعة النور ساعدتنا كثيرًا في الماضي, ولقد رأيت العديد من مقاتليها يحاربون معنا جنبًا إلى جنب ضد الغيلان, ومخلوقات عالم الظلام. ولكن...
بتر عبارته ليسأله دهام باهتمام:
- ولكن ماذا؟
نظر إليه فضل لبعض الوقت قبل أن يقول:
- لقد توقفت مساعدتهم لنا. أصبحنا نقاتل وحدنا دون أي مساعدة من جانبهم.
قال دهام مستنكرًا:
- ما تقوله مستحيل.. الجماعة هدفها هو منع بلعزبول الكبير وزبانيته من تدمير عالمنا وإغراقه في الظلام.
نظر إليه فضل بعينين حزينتين قبل أن يقول:
- ربما كان هذا هو هدف الجماعة في البداية يا بني. ولكن الحرب الآن دائرة بين الطرفين بسبب المفتاح الأسود.

اتسعت عينا دهام في دهشة وهو يقول:
- أنت تعرف المفتاح الأسود؟!
زفر فضل بمرارة وهو يقول:
- وكيف لا أعرف السبب في تخلي جماعة النور عنا وتركنا فريسة للغيلان وأتباع عالم الظلام؟ كيف لا أعرف السبب في موت الآلاف من أبناء هذه القبيلة على مدى سنوات طويلة؟ كيف لا أعرفه بعد أن ماتت زوجتي وابنتي ولم يبقَ لي سوى زين في هذا العالم القاسي الذي فقد آدميته بعد أن فقد حضارته التي ملأت الدنيا؟
شعر دهام وكأن قوة رهيبة تضغط على صدره, وراحت أنفاسه تتلاحق قبل أن يقول وهو يهز رأسه ببطء:
- أنا.. أنا.. لا أفهم أي شيء على الإطلاق.
نهض فضل من مقعده واقترب منه, وقال وهو يربّت كتفه برفق:
- لا ترهق نفسك بالتفكير في هذه الأمور الآن يا بني. أنت مصاب, وتحتاج إلى الراحة.
مع آخر كلمة نطق بها فضل كان زين قد عاد وهو يحمل صَحْفَةً خشبية تصاعدت منها رائحة زكية, وضعها بخشونة واضحة أمام دهام الذي مد يده يتناول كوب الماء ويعبه دفعة واحدة قبل أن ينظر إلى زين وهو يقول بامتنان:
- أشكرك.
رمقه زين بنظرة قاسية قبل أن يغادر المكان, فتنهد فضل قبل أن يقول وهو يربت كتف دهام مرة أخرى:
- انسَ أمره يا بني. فقدانه أمه وشقيقته الوحيدة جعله لا يحمل أي مودة تجاه جماعة النور ومقاتليها.
قال دهام وهو يعقد حاجبيه:
- أم بسبب ما زرعته أنت في نفسه وعقله من قصص كاذبة عن الجماعة؟

لم يَبْدُ الغضب على ملامح فضل, وإنما أطل أسى واضح من عينيه وهو يقول مربِّتًا كتف دهام للمرة الثالثة:

- تناول طعامك يا بني, وعُد إلى النوم, فجسدك ضعيف بسبب سم الغيلان.

وقالها وولى الفراش ظهره, ولكن دهام استوقفه وهو يقول:

- انتظر.. أريد أن أعرف المزيد.. أخبرني بكل ما تعرفه عن الجماعة, ولماذا وصفت قادتها ومجلس الحكماء بأنهم ليسوا بشرًا مثلنا؟

قال فضل دون أن يلتفت إليه:

- عندما تستعيد عافيتك يا بني.. قد أخبرك بما أعرفه من تاريخ مؤلم ومرير.. فقط عندما تصبح في حالة صحية أفضل.

قالها وغادر المكان دون أن يضيف كلمة أخرى.. تاركًا دهام ينظر إلى الطعام ليشعر بمعدته تصدر أصواتًا تنم عن جوعه وضعفه.. ورغم هذا لم يجد في نفسه القدرة على أن يمد يده إلى الطعام ويتناول لقمة واحدة.

***

-٦-

- ألم يعجبك طعامنا يا بني؟

رفع دهام عينيه عن صحفة الطعام المستقرة أمامه دون أن يمد إليها يدًا ليرى فضل يدلف إلى الغرفة التي رقد فيها وعلى شفتيه تلك الابتسامة الأبوية, فعقد حاجبيه وهو يقول مشيحًا بوجهه:

- لا أشعر بالجوع.

جلس فضل على مقعد قريب من الفراش, وشبك كفيه في حجره وهو يقول ناظرًا إلى الطعام:

- هذا الطعام هو أفضل ما لدينا يا بني. قدمناه لك لأنك ضيفنا, وإكرام الضيف واجب لا يمكن الهروب منه. كثيرون من أبناء قومي أرادوا أن يعيدوك إلى الغيلان مرة أخرى, ولكني رفضت هذا بشدة.

شعر دهام برجفة تسري في جسده وهو يقول:

- إلى هذه الدرجة تكرهون الجماعة وكل من يمت لها بصلة؟

ندت عن فضل تنهيدة حارة قبل أن يقول:

- الأمر ليس بأيديهم على الإطلاق, فلقد نشأ الكثير من شبابنا في أوقات عصيبة تخلت فيها عنا الجماعة, ولم تعد تمد لنا يد العون كما فعلت في السابق, ولهذا يحمل الكثير منهم مشاعر عدائية تجاهها.. إنه أمر طبيعي كما ترى.

ابتلع دهام ريقه بصوت مسموع قبل أن يقول:

- أخبرني بسبب هذا العداء.. لقد نشأت في معبد الجماعة منذ كنت طفلاً, وكل ما عرفته هو أن الجماعة تحارب من أجل هذا العالم, ومن أجل الحفاظ عليه من سيطرة عالم الظلام.

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتي فضل وهو يقول متسائلاً:

- وهل ترى العالم من حولك أفضل حالاً مع كل هذه الجهود التي تبذلها الجماعة؟ أخبرني أولاً.. هل هذه هي المرة الأولى التي تخرج فيها من المعبد

إلى العالم الواسع؟ هل فكرت يومًا أن تعود إلى المكان الذي ولدت فيه وقضيت فيه الجزء الأول من طفولتك قبل أن تؤخذ إلى الجماعة وتنشأ كواحد من مقاتليها؟

شعر دهام بالأسئلة وكأنها مطارق تهوي فوق رأسه بلا رحمة, وبحيرة قال مجيبًا:

- لقد قرأت الكثير عن العالم خارج المعبد, وكيف أنه امتلك حضارة متفوقة يوما ما, ولكن عالم الظلام سحق كل هذا, وجعل الناس يعيشون عصور التخلف والجهل من جديد, ولكنها المرة الأولى التي أبتعد هذا القدر عن الجبل الأبيض إلى هذا الحد.

مال فضل للأمام قليلا قبل أن يقول:

- ألم تسأل نفسك يومًا لماذا لم يسمح لك قادة الجماعة ومجلس حكمائها بأن تخرج إلى العالم؟ لماذا أبقوكم وراء الأسوار العالية تتدربون على القتال بأساليب متطورة لم يعد العالم من حولكم يعرف عنها شيئا؟

انفرجت شفتا دهام ليقول شيئًا ما, ولكنه أحجم وهو يهز رأسه نفيًا ببطء, فزفر فضل قبل أن يقول:

- لأن الجماعة ومنذ بدأت سعيها المحموم وراء المفتاح الأسود أصبح كل همها أن تخرج جيلاً من المقاتلين الأشداء.. لقد مات الكثيرون منهم, ولم تعد الأعداد المتبقية بكافية لتخوض هذه المعركة الشرسة ضد بلعزبول الكبير وتحقق أي انتصار. لهذا كانت خطتهم بأن يأخذوا أطفالاً من البشر ممن فقدوا آباءهم في الحرب ليكونوا نواة لمقاتلين لا يشق لهم غبار, تتم تنشئتهم بأساليب خاصة, ورغم بشريتهم, فإنهم يكتسبون قدرات غير بشرية مع الوقت.

وصمت هنيهة قبل أن يقول مكملاً:

- كأن يتمكن جسدك من مقاومة كل هذا القدر من سم الغيلان لتبقى على قيد الحياة. لقد شاءت العناية الآلهية أن تبقى حيًّا بالتأكيد, ولكن

جسدك القوي, وما فعله معك أبناء الجماعة كان سببًا بعد ذلك في بقائك حيًّا رغم السم الذي يمكنه أن يقتل بشريًا عاديًّا على الفور مهما بلغت قوة بنيته.

اتسعت عينا دهام عن آخرهما, وراحت دقات قلبه تتسارع على نحو مخيف, وشعر بعرق بارد يتفصد عن جبينه, وشعر بحلقه جافًا, وبجسده يرتجف..

- هل أنت بخير يا بني؟

قالها فضل باهتمام وهو يقترب من أكثر, فأومأ دهام برأسه إيجابًا وهو يقول:

- أنا.. بخير.

وأخذ نفسًا عميقًا ملأ به صدره ليسيطر على هذا الكم الرهيب من الانفعالات التي جاش بها صدره, وحبسه للحظات قبل أن يخرجه في عدة زفرات قصيرة, وقال بعد أن عاد إليه هدوء نفسه بعض الشيء:

- إذا لم يكن قادتنا في المعبد ومجلس الحكماء بشرًا مثلي ومثلك, فما يكونون يا ترى؟ أنت تعرف بالتأكيد.

لاذ فضل بالصمت لبعض الوقت قبل أن يقول وتعبير غريب يرتسم على وجهه:

- بالطبع أعرف عنهم الكثير, فلقد عرفتهم عن قرب طوال سنوات شبابي, وقاتلت إلى جانبهم في معارك عدة ضد بلعزبول الكبير ومخلوقات عالم الظلام.

وأسبل جفنيه وهو يقول وذلك التعبير الغريب ما زال محفورًا على ملامحه:

- إنهم لا ينتمون إلى هذا العالم.

انتفض وجه دهام وهو يقول مذهولاً:

- لا ينتمون إلى هذا العالم؟! ما الذي تقصده؟!

فتح فضل عينيه وهو يقول مجيبًا:

- ولا ينتمون إلى أي عالم نعرفه.. لأنهم ليسوا من أبناء الأرض.. بل هم قادمون من هناك.

عاد جسد دهام يرتجف بقوة, وراحت دقات قلبه تتسارع من جديد وهو يقول:

- من هناك أين؟!

تأخر فضل في الإجابة قبل أن يقول وهو يعقد حاجبيه:

- لقد أتوا من وراء النجوم.

وكانت الصاعقة التي هوت فوق رأس دهام.

***

الورقة الرابعة

الأسيرة

-١-

لم يشعر شاهين القرين بالتوتر والقلق يغزوان نفسه كما شعر بهما في هذه اللحظة وهو يقترب من معبد العقارب وحده تنفيذًا لخطة قرينه القادم من المستقبل للإيقاع بلوسيفر في الفخ..

امتدت يده لا إراديًا إلى حزامه, وتحسس تلك الكرة الزجاجية الدافئة وهو يعقد حاجبيه متذكرًا حواره الأخير مع قرينه المستقبلي..

- ما هذا؟

قالها شاهين القرين عندما أعطاه شاهين الأبيض كرة زجاجية ذات ملمس ناعم ودافئ.. مجرد كرة زجاجية مصمتة لا يبدو أنها قد تفيد بأي شيء سوى أن تقع على الأرض لتتهشم إلى مئات القطع الصغيرة.

نظر إليه شاهين الأبيض قليلاً قبل أن يقول وهو يشير بسبابته إلى الكرة الزجاجية:

- إنها سلاح ذو فعالية كبيرة.. سوف نستخدمه لإحكام الفخ حول لوسيفر أمير الظلام.

قطب شاهين القرين حاجبيه وهو يقول ناظرًا إلى الكرة الزجاجية باستنكار واضح:

- هذه الكرة الزجاجية؟! أنت تمزح بالتأكيد.

قال شاهين الأبيض بلهجة جادة:

- كلا. هذه الكرة سوف تكون الوسيلة الوحيدة لتعطيل لوسيفر أمير الظلام عن اللحاق بنا عبر بوابة الانتقال الرئيسية.. لن توقفه وقتًا طويلاً, ولكنه كاف دون شك حتى نعبر نحن وتغلق البوابة بعد ذلك. سيضطر بعدها للحاق بنا عبر فجوة جانبية دون شك.

ظل شاهين القرين ينظر إلى الكرة الزجاجية والدهشة تطل من عينيه, في حين قال شاهين الأبيض:

- عندما يرصد كهنة العقارب اقترابك من المعبد كما تقتضي الخطة, سيشك

لوسيفر أمير الظلام بأنه فخ للإيقاع به, وأيضًا سيعتبرها فرصة ذهبية للتخلص منك فينتهي وجودي إلى الأبد. سوف يعمل جاهدًا على حماية قرينه في الوقت ذاته, ولن يخاطر بإرساله لمواجهتك باعتبارك خصمه التقليدي, فهو يعلم بأننا قد نستغل هذه الفرصة للقضاء عليه.

قال شاهين القرين وهو يشعر برجفة خفيفة تسري في جسده:

- سوف يأتي بنفسه لمواجهتي.

أومأ شاهين الأبيض برأسه إيجابًا وهو يقول:

- هذا صحيح, فكما أخبرتك.. إنها فرصة ذهبية لن يضيعها ليقلب الفخ علينا, ويقضي عليك أيضًا.

ضغطت أنامل شاهين القرين على الكرة الزجاجية ليشعر بدفئها يتسلل إلى جسده وهو يقول متسائلاً:

- وما الذي ستفعله هذه الكرة بالضبط؟

مجيبًا قال شاهين الأبيض:

- إنها سجن.

نظر إليه شاهين القرين بعينين متسعتين وهو يقول:

- سجن؟! ما الذي تتحدث عنه؟!

تنهد شاهين الأبيض قبل أن يقول مجيبًا:

- الكرة الزجاجية هي سجن من طاقة صافية تستخدم لحبس أي جسم مادي ولا تسمح له بالحركة فترة محدودة, فالطاقة المنبعثة منها تعمل على شل الجسد المسجون وتجعله عاجزًا عن فعل أي شيء للدفاع عن نفسه.

نظر شاهين القرين إلى الكرة بإعجاب واضح وهو يقول:

- ولماذا لا نستخدم هذا السلاح للقضاء على لوسيفر القادم من زمنك لو أن لها هذا التأثير؟!

تنهد شاهين الأبيض مرة أخرى قبل أن يقول:

- لأن تأثير الكرة على لوسيفر أمير الظلام لن يكون التأثير التقليدي لها. إن

لوسيفر الذي ستواجهه يختلف عن لوسيفر كاهن العقارب الذي ألفت القتال معه, وعرفت أساليبه. سيدهشك أن تعرف أن تأثير سجن الطاقة عليه سيكون محدودًا للغاية, وكل ما سيفعله هو أنه سيحصره في منطقة واحدة لا يمكنه مغادرتها أو التحرر منها لوقت محدود للغاية, ولكنه سيظل محتفظًا بكامل قوته الرهيبة.

وصمت هينهة قبل أن يقول وهو يربِّت كتف قرينه:

- هدفنا هو إعاقته عن اللحاق بنا عبر البوابة الرئيسية وحسب, وليس التخلص منه في هذا الزمن.. أنت تفهم هذا بالتأكيد, فلا داعي لارتكاب أي حماقة قد تكلفك حياتك.

نظر إليه شاهين القرين بتوتر وهو يقول:

- أي حماقة لن تعني موتي وحسب.. بل نهايتك أيضًا في ذلك الزمن المستقبلي الذي أتيت منه.

أومأ شاهين الأبيض برأسه إيجابًا وهو يقول:

- هذا صحيح. ولهذا سوف نكون بالقرب منك طوال الوقت, فلو تأزمت الأمور وخرجت عن نطاق الخطة المتفق عليها, سوف نتدخل لمساعدتك بالطبع.

- لم أكن أتوقع أن يكون شاهين الأبيض بهذه الحماقة ليجعلك تأتي إلى هنا وحيدًا.

تسمر شاهين القرين في مكانه عندما تجسد لوسيفر أمامه من العدم وقد أحاط به دخان أسود راح يتلاشى في الهواء ببطء مخلفًا رائحة قوية في الجو..

كان هو لوسيفر عدوه التقليدي.. ذات الهيئة.. وذات النظرات الخبيثة.. والابتسامة المقيتة.. وتلك القلادة المستقرة على صدره القوي.. ولكنه ليس لوسيفر الذي اعتاد مواجهته.. من ناحية القوة والقدرة على الأقل..

- دعني أحذرك مرة أخرى.. إياك أن تستهين بلوسيفر أمير الظلام.. لو

حاولت أن تقاتله فسوف يسحقك بضربة واحدة.. لو أحس ببادرة شك واحدة بأنك تريد قتاله لن يتردد عن سحقك بلا رحمة.. هل تفهم هذا؟ إياك أن تقترب منه كثيرًا.. فقط اضربه بالكرة الزجاجية وتراجع بأقصى سرعة حتى لا تسجنك الطاقة المنبعثة منها معه.

ترددت كلمات شاهين الأبيض في ذهنه وهو ينظر إلى عَدُوِّه الذي ارتسمت الثقة على كل شبر من ملامحه المخيفة.. وراحت عيناه تتألقان بذلك البريق الناري, ولكن على نحو أكثر قوة من أي مرة سابقة.

- يبدو أن خصمي اللدود قد فقد حذره بسبب تلك الإصابة التي تسببت له فيها في مواجهتنا الأخيرة, وفي لهفته للقضاء علي قام بإرسال قرينه في حركة حمقاء غير محسوبة.

قالها لوسيفر أمير الظلام وابتسامة واثقة ترتسم على شفتيه, وتوترت ملامح شاهين القرين عندما رفع هذا الأخير يده لتتكون حولها سحب من الدخان الأسود راحت تتجسد على هيئة أفعى ذات عينين حمراوين كالدم, فتراجع للوراء عدة خطوات ويده تمتد ببطء إلى حزامه, في حين اتسعت ابتسامة لوسيفر وهو يقول:

- أم أنه قريب منك يراقب من البعد, وينتظر الوقت المناسب للتدخل في القتال؟

عقد شاهين القرين حاجبيه وهو يقول:

- أنت تظن بأنك قادر على التخلص مني الآن.. تظن بأنك إن قتلتني الآن فسوف تقضي على خصمك اللدود في المستقبل وتنهي وجوده للأبد, وبهذا تقلب السلاح الذي حاول استخدامه ليصبح ضدًا عليه.

هز لوسيفر كتفيه باستهانة وقال وهو يرفع يده للأعلى لتتلوى الأفعى ببطء مصدرة صوت فحيح مخيفًا:

- وما الذي يمنعني من فعلها الآن؟!

ازداد انعقاد حاجبي شاهين القرين وهو ينظر إلى ابتسامة لوسيفر التي لم

تكن مريحة على الإطلاق..
هذا التألق في عينيه يشي بأنه يخطط لشيء ما.. هل كشف طبيعة الفخ الحقيقي الذي يريدون إيقاعه فيه؟ هل سيتمكن من إفشال الخطة التي اتفقوا على تنفيذها؟
امتدت يده باستمرار مطرد إلى حزامه, ولكن شهقة قوية أفلتت منه عندما وجد الأفعى تنطلق بسرعة مخيفة لتلتف حول معصمه باعثة فيه ألمًا رهيبًا, وترددت ضحكة لوسيفر أمير الظلام وهو يقول:
- ليس بهذه السرعة يا قرين عدوي العزيز.. ما زال أمامنا مزيد من الوقت لنمرح حتى يقرر شاهين الأبيض أن يظهر نفسه.
تقلصت ملامح شاهين القرين في ألم وهو يحاول التخلص من سيطرة تلك الأفعى على معصمه, وراح صوت فحيحها الرهيب يصك مسامعه على نحو بعث رجفة عنيفة في كل شبر من جسده..
- سجن الطاقة.
قالها لوسيفر وعيناه تتألقان بقوة رهيبة, وانفرجت شفتا شاهين عندما ازداد ضغط الأفعى على معصمه حتى ظن أنها ستنتزع ذراعه من مكانها..
- الوضع خطير أيها المعلم.
قالتها أريج ويدها تمتد إلى مقبض سيفها..
قبع الأربعة مختبئين بالقرب من مكان وجود لوسيفر أمير الظلام وقرين شاهين الأبيض, فأومأ هذا الأخير برأسه إيجابًا وهو يقول:
- لقد تمكن لوسيفر من كشف ما نخطط له.
قال سعد وعيناه تتسعان في دهشة:
- ألم تكن تتوقع هذا أيها المعلم؟!
قال شاهين الأبيض دون أن يلتفت إليه:
- بل هذا ما توقعته من خصم عنيد ورهيب كأمير الظلام يا سعد.
وارتسمت على شفتيه ابتسامة عجيبة وهو يقول:

- هذا ما أردته أن يفعله بالضبط.
في هذه اللحظة تراجع سعد كالمصعوق, في حين التقى حاجبا سليم بشدة وهو يقول:
- أنت.. أنت...
التفت إليهم المعلم شاهين الأبيض وراحت ملامحه تتموج على نحو عجيب, وبدا وكأن ملامحه تتحول إلى ما بدا لهم أصغر سنًّا من معلمهم, و...
- أنت القرين في هذا الزمن!
قالتها أريج بانبهار, في حين قال سعد وعيناه تتسعان:
- يا للعبقرية! لقد أوقعتما لوسيفر في فخ محكم بحق هذه المرة.
ارتسمت ابتسامة على شفتي شاهين القرين وهو يقول ملوِّحًا بكفه أمام وجهه:
- العبقري هو قريني المستقبلي.. إنها فكرته, وهذه هي خطته لإيقاع لوسيفر القادم من زمنكم في الفخ وحبسه داخل سجن الطاقة ليتسنى لكم عبور بوابة الزمن دون أن يتمكن من مطاردتكم.
أومأت أريج برأسها إيجابًا وابتسامة تتراقص على شفتيها, في حين قال شاهين القرين وهو ينظر باتجاه شاهين الأبيض ولوسيفر:
- إن الباقي الآن يعتمد بالكامل على معلمكم شاهين الأبيض.
في اللحظة ذاتها كان شاهين يقول وهو ينظر إلى لوسيفر أمير الظلام, وقد بدا الظفر كأقوى ما يكون على ملامحه:
- أما زلت تعتقد أنك قد انتصرت يا لوسيفر؟!
ترددت ضحكة أمير الظلام في المكان قبل أن يقول وعيناه تتألقان بقوة:
- سوف أقتلك الآن.. سأقلب الفخ على شاهين الأبيض, وبموتك الآن سينتهي وجودك في المستقبل, وبهذا سأتمكن من الوصول إلى معبد الجماعة واستعادة صفوان..

وصمت هنيهة قبل أن يضيف وعيناه تواصلان التألق:
- وبعدها لن يقف في طريقي أي مخلوق إلى المفتاح الأسود.
شد شاهين قامته فجأة, وتلاشت ملامح الألم من وجهه وهو يقول ووجهه يتموج على نحو غريب:
- لن يحدث هذا ما دمتُ على قيد الحياة يا لوسيفر.
تلاشت ابتسامة لوسيفر الظافرة, وتجهمت ملامحه عندما رفع شاهين الأبيض يده لتتألق بوهج أبيض لتتفجر الأفعى المحيطة بمعصمه, وبقفزة رشيقة انتقل ليصبح أمام لوسيفر الذي تراجع للوراء بسرعة, ولكن يد شاهين الأبيض كانت أسرع منه لتمسك به من عنقه وهو يقول:
- لقد فات الأوان يا لوسيفر.. ووقعت في الفخ.
وبقوة مذهلة دفعه ليسقط أرضًا, وبسرعة خاطفة انتزع الكرة الزجاجية من حزامه ورفعها لتتألق بقوة وهو يقول:
- أعلم أنه من المستحيل التخلص من قرينك في هذا الزمن.. لهذا سأنقل المعركة إلى أرض أخرى.. وزمن آخر يا أمير الظلام.
وقفز في الهواء برشاقة وهو يلقي الكرة بقوة لترتطم بالأرض أمام لوسيفر الذي صرخ بغضب وهو يحاول النهوض, ولكن جسده كان مثبتًا إلى الأرض, ليرى أن ذراعيه وساقيه قد التفت حولها قيود من خيوط بيضاء متوهجة, فتألقت عيناه بغضب هادر وهو يهتف:
- تبًّا لك يا شاهين.
هتف بها في اللحظة ذاتها التي تحطمت فيها الكرة الزجاجية, وتحررت منها الطاقة لتتخذ شكل فقاعة عملاقة راحت تحيط بلوسيفر بسرعة مذهلة, وأطرافها تطلق شرارات زرقاء متألقة..
- لقد نجحت الخطة.
هتف بها شاهين القرين وهو يندفع مع أفراد الفريق نحو شاهين الأبيض الذي قال وهو يلتفت إليهم:

- لن يبقى لوسيفر أسير سجن الطاقة وقتًا طويلاً.
ونظر إلى أفراد الفريق وهو يكمل:
- لا بُدَّ من فتح البوابة الآن.
والتفت إلى قرينه في هذا الزمن وهو يقول مربِّتًا كتفه:
- لقد قمت بدورك على خير وجه.. يمكنك أن تذهب الآن وتواصل حياتك كما اعتدت أن تفعل قبل ظهورنا.
نظر إليه القرين للحظات قبل أن يقول ونظرة حزن تظل من عينيه:
- سوف ترحلون عن هذا الزمن.. وسوف أنسى كل ما حدث في هذا اليوم يا قريني المستقبلي.
قالت أريج بحيرة:
- ولماذا ستنسى ما حدث؟!
نظر إليها شاهين القرين قبل أن يتنهد ويقول وهو ينظر إلى المعلم شاهين الأبيض:
- ألم تخبرهم بما أخبرتني به قبل قدومنا إلى هنا؟
هز المعلم شاهين الأبيض رأسه نفيًا, وعادت ذاكرته إلى اللحظة التي كان يراجع فيها تفاصيل الخطة مع قرينه.. تلك اللحظة التي انتحى به ركنا وهو يقول بصوت خافت:
- عندما تنتهي هذه الأحداث ونغادر هذا الزمن.. سوف تنسى كل ما حدث وكأنه لم يكن.
عقد شاهين القرين حاجبيه وهو يقول متسائلاً:
- ما الذي تقصده بهذا؟!
تنهد شاهين الأبيض وهو يقول مجيبًا:
- إنه أحد تأثيرات الانتقال عبر الزمن.. فما إن ينتفي وجودي هنا سوف تعود ذاكرتك إلى النقطة التي توقفت عندها قبل أن تراني.. سوف تواصل حياتك بشكل عادي, ولن تتذكر أي شيء عن لقائنا في هذا الزمن. الشيء

نفسه ينطبق على قرين لوسيفر في هذا الزمن.
- لم أخبرهم بأي شيء بعد.
قالها شاهين الأبيض بلهجة جامدة, فقال سليم متسائلاً:
- ما الذي تتحدثان عنه أيها المعلم؟!
نظر شاهين الأبيض إلى سجن الطاقة الذي أحاط بلوسيفر أمير الظلام, وهذا الأخير يحاول التخلص منه, والتقى حاجباه بشدة وهو يقول:
- الوقت ليس مناسبًا لهذا يا سليم, فلو تأخرنا في الانتقال فسوف يتحرر لوسيفر من سجن الطاقة.
وأمام أعينهم انتزع خاتمه وقال وهو ينظر إلى قرينه:
- بعد أن يتم الانتقال سوف تعود إلى المكان ذاته الذي بدأ عنده كل شيء عندما التقيت بك.
وارتسمت على شفتيه ابتسامة وهو يقول:
- كان رائعًا أن ألتقي بنفسي في زمن عشته من قبل.. لقد أحببت الحياة في بابل.. أمامك الكثير لتراه.
وتألقت عيناه بجذل مفاجئ وهو يقول:
- والكثير من المعارك لتخوضها ضد لوسيفر كبير كهنة العقارب.

***

-٢-

- إلى أين تأخذني يا سيد فضل؟!

قالها دهام وهو يسير وراء فضل متكئًا على عُكَّاز خشبي, وحبات العرق تتجمع على جبهته.

كان الاثنان يسيران عبر ممر طويل في ذلك الكهف الواسع, وقد أمسك الأول بمصباح صغير انبعث منه ضوء خافت محبب للعين.

- أريد أن أريك شيئًا مهما للغاية يا بني.

قالها فضل دون أن يلتفت إليه أو يتوقف عن السير, فابتلع دهام ريقه وهو يقول متسائلاً:

- أي شيء هذا؟!

مجيبًا قال فضل:

- أنت لم تصدقني عندما أخبرتك بأن قادة جماعة النور لا ينتمون إلى هذه الأرض, ولكنهم قادمون من وراء النجوم.

عقد دهام حاجبيه وهو يقول:

- الأمر ليس منطقيًا أو عاديًا حتى يقتنع به عقلي بهذه السهولة يا سيد فضل.

ارتسمت ابتسامة على شفتي فضل وهو يقول:

- ما الذي تعرفه عن الفضاء الخارجي يا بني؟

لاذ دهام بالصمت قليلاً قبل أن يقول مجيبًا:

- ليس بالشيء الكثير.. لقد قرأت العديد من المخطوطات القديمة بالمعبد تحدثت عن الحضارة قبل انهيارها وتراجع البشر قرونًا إلى الوراء. تحدثت عن أن البشر كانوا في يوم ما قادرين على بلوغ تلك النجوم اللامعة التي نراها ليلاً, وأنهم اكتشفوا العديد من الأماكن الأخرى في الكون أطلقوا عليها اسم الكواكب, بل إن بعض هذه المخطوطات تحدث عن إمكانية وجود حياة عاقلة فوق هذه الكواكب.

أومأ فضل برأسه إيجابًا وهو يقول:
- هذا صحيح.. بل إن أجدادنا اكتشفوا بعضًا من صور الحياة هذه بالفعل.
قال دهام مندهشًا:
- حقًّا ما تقول؟!
مجيبًا قال فضل:
- ليست تلك الصورة التي قد تجول بخاطرك, ولكنهم عثروا على مخلوقات حية صغير ودقيقة للغاية تعيش في الكون الواسع.. مخلوقات لا تُرى بالعين المجردة, ولكنها حياة وتثبت أننا لسنا المخلوقات الوحيدة التي أبدعها الخالق في هذا الكون الواسع.
قال دهام يسأله:
- وهل هذا يثبت أن قادة الجماعة من هذه المخلوقات الحية التي تعيش في الكون؟!
أفلتت من فضل تنهيدة حارة قبل أن يقول:
- لا تستَبِق الحكم يا بني.. ولا تنسَ أنني رافقتهم لسنوات عديدة, وعرفت عنهم الكثير مما لم يخبروكم به عندما تمت تنشئتكم وراء أسوار المعبد.. أنا لا أقول إنهم مخلوقات شريرة تسعى لتدمير عالمنا, ولا أقول بأنهم المسئولون عن انهيار الحضارة على الأرض. على العكس.. لقد ساعدوا البشر كثيرًا في الماضي لتجاوز تداعيات الكارثة التي كادت تحكم عليهم بالفناء التام, ولولا عناية الله، ومن ثم وجودهم، لكانت النهاية للجنس البشري، خصوصًا مع تدفق مخلوقات عالم الظلام إلى عالمنا ومحاولتها الدائمة للسيطرة عليه.
شعر دهام الحيرة تغمره وهو يقول:
- إنهم يقاتلون من أجل هدف نبيل إذًا, فما الذي دفع قومك لكراهيتهم إلى هذا الحد؟!
تنهد فضل مرة أخرى قبل أن يقول:

- ربما كان هذا هو هدفهم في البداية عندما أتوا إلينا من الفضاء, ولكن عندما اتضح الهدف الحقيقي الذي يسعون إليه.. تغيرت نظرة الكثيرين من البشر إليهم.

وتوقف عن السير والتفت إلى فضل وهو يقول:

- لماذا برأيك قرر قادة الجماعة الابتعاد عن البشر والانعزال فوق قمة الجبل الأبيض؟ لقد عاشوا دومًا بين البشر, وقريبًا من تجمعاتهم, ولسنوات طويلة, فلماذا اختاروا العزلة الآن؟!

أطلت الحيرة هذه المرة من عيني دهام وهو ينظر إلى ملامح السيد فضل الهادئة.. لماذا يشعر بأن هذا الرجل صادق بالفعل في كل كلمة نطق بها؟ ولكن.. هل من السهل أن يصدق هذا؟ القادة والحكماء الذين نشأ دومًا على احترامهم والنظر إليهم باعتبارهم قدوة ومثلاً أعلى لا ينتمون إلى الأرض قادمون من الفضاء الواسع؟! من وراء تلك النجوم اللامعة في صفحة السماء عندما يجن الليل؟!

- أنا أعلم مقدار ما تشعر به من حيرة وتخبط في هذه اللحظة.

قالها فضل وابتسامة أبوية ترتسم على شفتيه, فنظر إليه دهام بعينين حائرتين وهو يقول:

- الأمر أشبه بصاعقة هوت فوق رأسي.

هازًّا رأسه إيجابًا قال فضل وهو يواصل السير مرة أخرى وهو يرفع المصباح أمامه:

- ولهذا سأريك شيئًا قد يجعل تقبل الأمر سهلاً عليك.

سار الاثنان لبعض الوقت حتى بلغا درجات حجرية هابطة إلى قاع مظلم, فقال دهام متسائلاً وقلبه يخفق, ورجفة تسري في جسده:

- ما هذا المكان؟!

علق فضل المصباح في مكان مخصص له على الجدار الحجري الخشن وقال وهو يهبط أولى الدرجات:

- لا تخف واتبعني.
قال دهام وهو يتقدم بتردد واضح:
- لماذا تركت المصباح؟! المكان مظلم للغاية بالأسفل.
قال فضل بثقة وهو يواصل الهبوط:
- لن نحتاج إليه بالأسفل.. اطمئن.
للحظات كاد دهام يتراجع عن الهبوط وراءه, ولكنه أخذ نفسًا عميقًا ملأ به صدره وهو يهزم تردده ويهبط إلى ذلك الظلام الذي سرت بسببه رجفة باردة في جسده, وانفرجت شفتاه ليقول شيئًا ما, أو يعترض على عدم وجود إضاءة تسمح له برؤية موطئ قدميه, و..
أفلتت منه شهقة مفاجئة عندما أضاء المكان من حوله بضوء أبيض باهت, وانتفض جسده وهو ينظر إلى ذلك الممر الممتد أمامه وعلى جانبيه توزعت مصابيح صغيرة انبعث منها الضوء..
لم يكن ممرًا حجريًا خشنًا, بل كان من مادة ذات ملمس مصقول ولامع, حتى الجدران بدت مصقولة لدرجة تمكن معها من رؤية نفسه وكأنه ينظر في مرآة.
- ما هذا المكان؟!
قالها بصوت مبهور, فقال فضل وهو يسير بخطوات وئيدة:
- اتبعني.. وستجد كل الإجابات عما قريب يا بني.
تبعه دهام عبر الممر وهو لا يفتأ يختلس النظر إلى ملامحه المذهولة التي انعكست على الجدار الناعم, و..
- هنا.
توقف فضل أمام باب دائري من المادة اللامعة ذاتها، لم تكن له أي مقابض أو أي وسيلة ظاهرة لفتحه, والتفت إلى دهام وهو يقول:
- وراء هذا الباب يستقر أكثر مِنْ شاهدٍ ودليلٍ على الحضارة التي وصل إليها أسلافنا يومًا ما, وكذلك الدليل على صدق كل ما أخبرتك به عن

حقيقة قادة جماعة النور.
قالها واستدار يواجه الباب, ورفع يده وألصقها به, فاهتز الباب قبل أن ينفتح كاشفًا عن قاعة واسعة أضاءتها المصابيح التي تضيء الممر ذاتها, وببطء وكالمسحور عبر دهام الباب..
انتفض جسده بعنف.. وراح قلبه يخفق بقوة مجنونة.. واتسعت عيناه عن آخرهما حتى بدا وكأنهما ستغادران مقلتيه.. فما رآه في القاعة كان أمرًا مفاجئًا.. وغير متوقع على الإطلاق.

***

-٣-

ألم شديد شعرت به أريج يسري في كل شبر من جسدها..

ظلام مخيف أحاط بوعيها, وشعرت بنفسها وكأنها تسبح في فراغ بلا حدود, وبلا أبعاد مادية..

ما الذي حدث لها؟!

إن آخر شيء تتذكره هو أنها كانت على وشك أن تعبر البوابة مع المعلم شاهين الأبيض وبرفقة سعد وسليم عندما حدث ما حدث..

شعرت بالخوف يستولي عليها وهي تتساءل..

ما الذي حدث يا ترى؟!

إنها تذكر ذلك الوهج الأبيض.. البوابة تنفتح.. وفجأة دوى ذلك الانفجار الرهيب وصحبه وهج أحمر, و.. ووجدت نفسها في هذا الفراغ العجيب..

- أنها تستعيد وعيها بالفعل.

الصوت أنثوي دون شك.. صوت بارد.. ناعم.. لزجًا كأفعى..

- هذا صحيح.

الصوت هذه المرة كان ذكوريًّا.. باردًا.. مخيفًا.. توحي نبراته بِشَرٍّ لا حدود له..

ببطء شديد حاولت أريج أن تفتح عينيها.. شعرت بجفنيها ثقيلين يأبيان الاستجابة.. سمحت لجسدها بالاسترخاء قليلاً قبل أن تحاول من جديد..

هذه المرة تمكنت من فتح عينيها.. كانت الرؤية غير واضحة بسبب إضاءة المكان الخافتة..

تمكنت أن تتبين القليل من معالم المكان من حولها.. جدران حجرية ملونة.. أعمدة دائرية ضخمة.. العديد من التماثيل الضخمة الغارقة في الظل لمخلوق بدا وكأنه يملك جسد إنسان ورأس كلب..

- مرحبًا بكِ أيتها الحسناء في معبد الإله ست.

قالتها صاحبة الصوت الأنثوي, فعقدت أريج حاجبيها وهي تلتفت إلى

مصدر الصوت لترى أمامها تلك المرأة..
ذات جمال خارق دون شك.. ذلك القوام السمهري.. البشرة الخمرية..
العينان العسليتان الكحيلتان.. الثياب الكهنوتية المزركشة, وتلك القلادة الذهبية..
- دعي ضيفتنا تَعْتَدْ على المكان أولاً يا عزيزتي تويا.
قالها صاحب الصوت الذكوري هذه المرة, فانتفض جسد أريج عندما ميزت الصوت..
إنه هو دون شك.. والآن.. هي أسيرته.. في معبد أطلقت عليه تلك المرأة معبد الإله ست..
التفتت ببطء لتراه واقفًا بجوار الكاهنة تويا.. بقامته الممشوقة.. وملامحه المخيفة الباردة.. وعينيه المتألقتين بذلك الوهج الناري المخيف..
ودون وعي منها وجدت نفسها تطلق صرخة قوية حملت كل يأسها وخوفها قبل أن تفقد الوعي ويبتلعها ذلك الفراغ من جديد.
في قبضة العدو اللدود..
في قبضة أمير الظلام..
في قبضة..
لوسيفر.

***

تم الجزء الأول بحمد الله تعالى..
ويليه الجزء الثاني والأخير بإذن الله..